مجلة شهرية

Issue No: 53 :عدد
January 2012 كانون ثاني

نـــــور يسوع المسيح المسيح
Φ Ω Σ ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد ربّنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

تتقدّم جمعية نور المسيح
بأحرّ التهاني والتبريكات

إلى غبطة البطريرك
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم وسائر أعمال فلسطين والأردن

بمناسبة عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد
في مغارة بيت لحم
وأيضاً بمناسبة بدء السنة الجديدة

آملين أن يمدّ اللّه بنعمه السماويّة إلى غبطتكم
ليتمّ بالتعاضد إيصال سفينة الكنيسة إلى ميناء الخلاص
من خلال إدارتكما الحكيمة لسدّة البطريركيّة
ومحبّتكم الباذلة لأبنائها
ورغبتكم الأصيلة لإضفاء المعرفة الرسولية والآبائية
لأبناء الكنيسة قاطبة

وكل عام وانتم بخير

لسنين عديدة ومجيدة يا سيّد

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد

«استعدّي يا بيت لحم. فقد فُتحت جنّة عدْن للجميع تهيّئي يا إفراثا. لأنّ عود الحياة قد أزهر في المغارة من العذراء فإنَّ بطنها قد ظهر فردوساً عقليّاً. فيه الغرسة الإلهيّة التي بأكلنا منها نحيا ولا نموت مثل آدم. إنَّ المسيح يولَد لكي يُنهض الصورة التي سقطَت قبلاً.» (الأبوليتيكية لتقدمة عيد الميلاد).

أيها الأخوة الأحباء بالربّ

تستلم كنيستنا المقدّسة ،بوقع كبير وجوٍّ خاص ومميّز ، سرّ التدبير الإلهي العظيم.!

وما هو هذا السرّ ؟

إنّه سرٌّ يعبّر عن المحبّة العظمى غير الموسوعة من قبَل اللّه للإنسان ، إنّه الدخول غير المُدرَك لكلمة اللّه إلى تاريخ الإنسانيّة. وهو عود الحياة الذي نبَتَ جديداً من البتوليّة مريم في مغارة بيت لحم. وهو أخيراً تجسّد وتأنّس كلمة اللّه من دماء العذراء الزكيّة والدة الإله الدائمة البتولية مريم.

التبرير المنطقي الكامل الخاصّ بهذا السرّ يستحيل بدون الإيمان. يقول الحكيم بولس: «بالإيمان نفهم أن العالَمين أُتقنَت بكلمة اللّـه حتى لم يكوّن ما يُرى بما هو ظاهر» (عب ١١:٣). أما الفهم بواسطة الإيمان لسرّ التدبير الإلهيّ ، هو فهم الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد قدر المستطاع من خلال نعمة الروح القدس.

" إستعدّي يا بيت لحم " هكذا يُعلن مرنّم الكنيسة ، لأنّه فُتحَت جنة عدْن للجميع.

أما بالنسبة إلى بيت لحم فهي المكان الأرضيّ والمنظور حيثُ أصبَحَ سرّ التدبير الإلهيّ العظيم ، ميلاد كلمة اللّه المسيح.

وبالنسبة لجنة عدْن ، فهي المكان السماوي وغير المنظور ، حيثُ سقَطَت وطُرِدَت المعصية الأولى ، ومن خلالها الموت.

هلمّوا ...لنرى ما يقوله لنا **القديس يوحنا الدمشقيّ** حول جنة عدن: « ولمّا كان اللّه عازماً على أن يَجبُل الإنسان من خليقة

منظورة وغير منظورة ، على صورته كمثاله ، بمنزلة ملك متسلّط على الأرض كلّها وعلى ما فيها، هيّأ له شبه مملكة ، لو عاش فيها لكانت له حياة سعيدة هنيئة. وما الفردوس الإلهيّ سوى ذاك المغروس بيَديْ اللّه في عدن ، وهو خزانة للأفراح والمسرّات. لأنّ عدن تعني النعيم. ، وهي موجودة في المشرق في أعلى مكان على الأرض كلّها. مناخها طيّب ، وهي تزهو بأرقّ نسيم وأنقاه ، خصبة الغروس الدائمة النضارة، عابقة بالعطور ، مليئةٌ نوراً ، تفوق بهاءً كل ما يخطر على الفكر من حسن وجمال. بقعة إلهيّة حقاً ، ومنزل يليق بمن هو على صورة اللّه. ما كان ليحلّ فيه قط أحدُ البهائم ، بل الإنسان وحده ، لأنّ الأيدي الإلهيّة جَبَلَتْه».

أيها الأخوة الأحباء

بكلام آخر ، كلمة اللّه إتّحد مع البشريّة الإنسانيّة بدون إختلاط ، لكي تَتَأَلّه هذه البشريّة بالنعمة ، بهذا السرّ التدبيري يُدخل الإنسان الساقط مجدّداً إلى الفردوس وجنة عدن ، إذَن هذا هو هدفنا المركزي والإساسي في عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد. فيه نتذكّر عمل اللّه الخلاصي لإعادتنا ثانية إلى فردوس النعيم.

عيد الميلاد ، والذي يُعتبر عيداً عظيماً وكبيراً ، ينتظر منّا أن نهيىء نفوسنا وذواتنا تهيئة روحية ليتم من خلالها إستقبال الطفل الإلهي شمس العدل في مغارة قلوبنا، أي آدم الجديد ربّنا يسوع المسيح ـ المسيح وُلِدَ فمجّدوه ، المسيح أتى من السموات فاستقبلوه ، المسيح على الأرض فارفعوه ، رتّلي للرب أيتها الأرض كلّها ويا شعوب سبّحوه بابتهاج لأنّه بالمجد قد تمجد.

كل عام وانتم خير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

سرور العالم بميلاد المسيح

للقدّيس غريغوريوس اللاهوتي

«المسيح ولد فمجدوه. المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه. المسيح على الأرض فارفعوه. رتّلي للرب أيتها الأرض كلّها ويا شعوب سبّحوه بابتهاج لأنه بالمجد قد تمجد».

المسيح في الجسد فابتهجوا: «يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي وهللوا لله بصوت الترنم» (مز٤٧:١). «لأنه ولد لنا ولد، وأُعطينا ابناً، وتكون الرئاسة فوق منكبه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلها جباراً أبا أبدياً رئيس السلام» (أش ٩:٦). به يبتدئ الكيان ويخلق غير المخلوق. فيا لها من محبة للبشر لا توصف يُظهرها السيّد. إن المولود منذ الأزل **بلا أم** يولد ثانية **بلا أب**.

إن ابن الله يصير ابن البشر من أجلنا، نحن الساقطين من السعادة بسبب الخطيئة ليعيدنا إلى الحالة الأولى بواسطة تجسده. فالغني يفتقر إلى جسدي لأغنى أنا بألوهيته، والكامل يضعف في المجد لأشاركه في كماله. فيا له من سرّ لا يوصف.

إني حصلت على صورة الله ولم أحافظ عليها. فالسيّد يأخذ جسدي لينقذ الصورة ويجعل الجسد خالداً. إن الضابط الكل يدخل ثانية معنا في الشركة بصورة أعجب من الأولى، لأنه وهبنا الأحسن، أمّا الآن فيأخذ الأسوأ، ولكن هذا الأخير أشد ارتباطا باللّه من الأول وأكثر علواً للعقل. فحفلتنا عظيمة جداً لأننا نعيّد اليوم لمجيء الرب إلى البشر. الرب الذي أرجعنا إلى الله. «فلنطرح الإنسان العتيق ولنتّشح بالجديد» (افس٤:٢٢ –٢٣) ، «وكما أننا متنا بآدم كذلك سنحيا بالمسيح» (كورنثوس الاولى ١٥:٢٢)، بالمسيح يولد ويتجدد المصلوبون والمدفونون والأحياء لأنه لا بدّ لنا من أن نحتمل هذا الإنقلاب الخلاصي حتى ينتج الحزن من السرور فينقلب الحال، ونرى السرور من الحزن لأنه «حيث تكثر الخطيئة تزيد النعمة أكثر» (رومية ٥:٢٠) ، فإن كانت اللذة قد جلبت الدينونة فإن آلام المخلص قد حققت تبريرنا.

إلها جباراً أباً أبدياً رئيس السلام

وعليه فلنعيّد، **لا بالأبهة والتفاخر**، بل بالسلام! ليس العيد عيدنا بل عيد السيّد، ولا عيد الضعف بل عيد الشفاء، ولا عيد الخليقة بل عيد تجديدها، فكيف يجب أن نكمل ذلك؟ لا يجب أن **نفتن البصر، وندنس السمع، ونرفه الشم، ونروي غليل الذوق، ونلهي اللمس**؛ فان هذه الطرق كلها تؤدي إلى الخطيئة وتفتح أبوابها. «لنسع باستقامة كما في النهار، لا بالقصف والسكر، ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصومة والحسد، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا يسبق اهتمامكم بشهوات الجسد» (رومية١٣:١٣–١٤)، لان تعليم المعلم الرديء رديء، والأفضل أن يقال ان الحبوب الرديئة تعطي زرعاً رديئاً، فلا تدعْ الأرض أو المياه تقدّم لك الأقذار في شكل هدية ثمينة. فإن الزينة التي تشوّه الطبيعي تهين صورة الله؟ ولا ينافس أحدنا الآخر في الإفراط، لأنّ كل ما يزيد عن الحاجة هو الإفراط عينه.

فبأي شيء يجب أن نتلذذ نحن الساجدين للكلمة؟ يجب أن نتلذّذ بكلمة الله، وبالحديث عن أسباب الحفلة الحاضرة.

لنقدم المجد لبيت لحم الصغيرة التي أرجعتنا ثانية إلى الفردوس لنسجد أمام المذود الذي هذبّنا بالكلمة بعد أن شابهنا البهائم! لنمجد المولود مع الرعاة ولنقدم له الهدايا مع المجوس! لنفرح مع الملائكة، ولنرسل مع رؤساء الملائكة المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام. ولتكن الحفلة عامة بين القوات السماوية والارضية لأن قوات السماء تفرح الآن وتحتفل معنا، لأنها محبة الله وللبشر أيضاً، آمين .

محتويات العدد

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4 سرور العالم
5 ميلاد الرب، القديس جيروم
8 وداعة المسيحي القديس باسيليوس
9 تفسير القدّاس الإلهيّ
10 الملائكة والشياطين
12 ختان الرب يسوع
14 الظهور الإلهي
17 فضيلة الإحتمال
18 ما هو الخير الأعظم
19 رموز العذراء
20 أين نجد السعادة
22 مامون ، ثروة
23 العهد القديم . (٣٧)

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الجي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

ميلاد الربّ يسوع المسيح بالجسد
عظة للقديس ايرونيموس (جيروم)

ولد **القدّيس ايرونيموس** من أبوين مسيحيين ببلدة ستريدون قرب أكويلا بإيطاليا حوالى سنة 345م. وفى حداثته ذهب إلى روما حيث درس الخطابة واشتغل فترة بالمحاماة. ويقول عن نفسه إنه سقط فى الخطية ولكنه إنجذب بعدها إلى صداقة مجموعة من الشبان المسيحيين الذين أثروا فى حياته وكان يزور معهم قبور الشهداء فى سراديب روما. وفى سنة 366 اعتمد بيد البابا ليباريوس.

كان جيروم منذ شبابه مغرمًا بالدراسة وبدأ يكوّن لنفسه مكتبة خاصة منذ شبابه المبكر. وقام بجولة فى بلاد الغال (فرنسا) عن طريق شمال إيطاليا، وفى أثنائها تعرّف بـ روفينوس، وقضى فترة فى تريف، وكان يقوم بنسخ المخطوطات، وكتب تفسيرًا رمزيًا لسفر عوبديا. ثم رجع إلى إيطاليا، وقضى هناك ثلاثة سنوات فى أكويلا حيث بدأ فى السير نحو هدفي حياته وهما. دراسة الكتاب المقدس، وممارسة الجهاد النسكى.

فى 373 سافر ايرونيموس إلى الشرق مع بعض أصدقائه من النساك عن طريق شمال اليونان ..... وغلاطية وكبادوكية وكيليكيا إلى أن وصل إلى أنطاكية حيث استراحوا لبعض الوقت، وهناك أصيب ايرونيموس بحمى شديدة قارب الموت بسببها، وأثناء هذه الأزمة قرّر ترك كل الاهتمامات والقراءات الرومانية وتكريس نفسه للدراسات المسيحية وخاصة الكتاب المقدس.

تعلم ايرونيموس **اللغتين اليونانية والعبرية**. وقام بترجمة العهد القديم من العبرية إلى اللاتينية لغته الأم، وهذه أول مرة تترجم فيها التوراة من العبرية إلى اللاتينية مباشرة بعد أن كانت الكنيسة اللاتينية تستخدم النسخة السبعينية اليونانية. وهذه الترجمة هى المعروفة باسم الفولجاتا Volgate.

ومن أشهر كتب القديس ايرونيموس كتاب «مشاهير الرجال» (Viris Illustratus) كأحد المراجع عن عدد كبير من الآباء بعد كتاب «تاريخ الكنيسة » لأوسابيوس. وقضى ايرونيموس 40 سنة فى بيت لحم يعيش الحياة النسكية مع عدد من الأصدقاء والتلاميذ والتلميذات. وترجم نصوصًا كثيرة لبعض المعلمين السابقين من بينهم أوريجينوس إلى اللاتينية، وكتب تفسيرات لعدد كبير من أسفار الكتاب المقدس خاصة العهد القديم. وتنيح ايرونيموس سنة420 م ودُفن فى بيت لحم.

المسيح ولد فمجدوه. المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه.

العظة على ميلاد الرب:

لم يستطع العلماء أن يحددوا تاريخًا دقيقًا لإلقاء هذه العظة. وكل ما وُجد عنها فى هوامش كتابات ايرونيموس باللاتينية أنها أُلقيت فى عيد الميلاد 25 ديسمبر فى حضور الأسقف ودون تحديد من هو الأسقف الذى ألقى ايرونيموس العظة فى حضوره. ويرجع العلماء أنها أُلقيت فى إحدى السنوات بين 394 ـ 405.

العظة :

«أضجعته فى المذود، إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل» (لو٢: ٧) ، «أضجعته أمّه فى المذود». لم يجرؤ يوسف على أن يلمسه، لأنه كان على يقين تام، أن الطفل لم يكن إبنه بالجسد. إبتهج يوسف بالطفل وهو مندهش، بَيْد أنه لم يجرؤ على أن يلمسه. أضجعته أمه فى المذود. فلماذا فى مذود؟ لكى تتم النبؤة التى قيلت على لسان إشعياء النبى « الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه» (إش١: ٣) ، وقيل أيضًا فى موضع آخر :«الناس والبهائم تخلّص يارب» (مز٣٥: ٦). فإذا كنت إنسانًا تناول الخبز؛ وإذا كنت حيوانًا فتعال إلى المذود.

وبسبب أنه لم يكن لهم موضع هناك، لذلك قال لوقا الإنجيلى بصواب: « إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل» وذلك لأن عدم إيمان اليهود قد امتد إلى كل شيء. لم يجد موضعًا فى قدس الأقداس الذى يتألق بالذهب، والأحجار الثمينة، والحرير الطبيعى والفضة. لم يولد المسيح وسط الذهب والثروة، بل وُلد وسط روث الحيوانات فى حظيرة للبهائم، وحيث توجد الحظيرة، يوجد الروث، بينما خطايانا هى أقذر بكثير من ذلك الروث. وُلد الرب فى مزبلة، كي يرفع أولئك الذى أتوا منها، كما يقول المرتل: « الرافع البائس من المزبلة» (مز١١٢: ٧) ، وُلد الربّ فى المزبلة، حيث جلس أيوب الصديق أيضًا، وتُوّج بعد ذلك.

«لم يكن لهم موضع فى المنزل» ، هنا تعزية عظيمة للفقراء فيوسف ومريم، أم الرب، لم يكن لهما خادم أو خادمة. أتوا بمفردهم من الناصرة التى فى الجليل، ولم يكن لهما دابة تحملهما. فلقد كانا لنفسيهما سادة وعبيدًا. توجد هنا ملاحظة أخرى وهى أنهما قد ذهبا إلى الفندق الذى بجانب الطريق، وليس إلى داخل المدينة، فحيث كان الفقر كان يجعل الإنسان أجبن من أن يتجرأ للدخول وسط الأغنياء. أتلاحظون مدى شدة عوزهما. فقد ذهبا إلى الفندق الذى على الطريق. لم يقل الكتاب المقدس إن الفندق كان على الطريق، بل كان جانبًا خارج الطريق؛ ليس على

طريق الناموس، بل على طريق الإنجيل. لم يكن هناك فى ذلك الوقت مكان آخر خاليًا لكي يولد فيه المخلص سوى مذود، مذود للماشية والحمير. فإني أتمنى لو كان يُتاح لي أن ألقي بنظرة إلى ذلك المذود الذى وُلد فيه المسيح. ولكي نكرِّم المسيح الآن، نأخذ مذود الطين ونستبدله بسلة فضية، ولكن ذاك الذى وُلد فيه المسيح نفيس جدًا بالنسبة لي. الفضة والذهب يتناسبان مع عبادة الأوثان، أما الإيمان بالمسيح فإنه يستحق ذلك المذود المصنوع من الطين. وُلد المسيح فى ذلك المذود فهو لا يبالي بالذهب أو الفضة. لذلك فإني لا ألوم أولئك الذين باعوا ممتلكاتهم فى سبيل إكرام الآلهة، ولا أنظر بازدراء إلى أولئك الذين صنعوا أوعية من الذهب فى الهيكل، ولكني أتعجب من الرب خالق الكون. الذى وُلد وهو غير مُحاط بالذهب والفضة، بل مُحاط بالطين والروث.

«وكان فى تلك الكورة رعاة متبدّين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم» (لو٢:٨). **إنهم لن يجدوا المسيح إن لم يسهروا، إذ أن هذا هو واجب الرعاة**. فلن يجد المسيح إلا الإنسان اليقظ الساهر. فلهذا تقول عروس النشيد: « إني نائمة ولكن قلبى يقظ» (نش٥:٢) ، حقًا «لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل» (مز١٢٠:٤).

كان هناك فى نفس الكورة رعاة، وكان هيرودس ورؤساء الكهنة والفريسيون هناك أيضًا فى نفس الكورة، وبينما هم نيام، وجد الرعاة المسيح مضجعًا فى مغارة منعزلة.

« كان الرعاة يحرسون حراسات الليل على رعيتهم». لقد كان الرعاة يحرسون قطيعهم، لئلا تفترسه الذئاب أثناء نومهم. كانوا يحرسون القطيع بحرص وعناية؛ ولقد كان الخطر بالنسبة للقطيع من غدر الوحوش سببًا كافيًا لكي يسهروا لحراسة قطيعهم. كانوا يحرسونه، كما لو كان قطيع الرب، ولكنهم لم يستطيعوا حفظه؛ ولهذا طلبوا من الرب أن ينقذ القطيع. « وإذا ملاك الرب وقف بهم» (لو٢:٩). والذين كانوا يقظين هكذا إستحقوا أن يأتى إليهم ملاك الرب: « ومجد الرب أضاء حولهم، فخافوا خوفًا عظيمًا» (لو٢:٩). إن خوف الإنسان سببه هو عدم قدرته أن يتفرس فى منظر مهيب وسام جدًا. وبسبب خوفهم خوفًا عظيمًا، قال لهم الملاك «لا تخافوا» (لو٢:١٠)، فكان كلامه كالمرهم الذى يداوي الجروح لكي يطمئنوا. فشدة الخوف تجعلك عاجزًا عن فهم ما أقوله.

« إنه وُلد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو٢:١١) ،يا لها من كلمات عظيمة جدًا وبينما هم فى حالة دهشة عظيمة « ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين» (لو٢:١٣). ملاك واحد أعلن ميلاد الرب، ولكي لا يبدو أنه هو الوحيد الشاهد لهذه الحادثة، ردّد كل جمهور الملائكة تسبحة تمجيد واحدة:« المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام وبين أناس المسرة» (لو٢:١٤).إذا كانت الخطايا بحسب ما يقوله الهراطقة، تحدث يوميًا فى السماء، فكيف يكون هناك إذًا مجد فى السماء، ولماذا نصلي من أجل السلام على الأرض؟ لاحظوا ما يقوله الإنجيل فى السماء حيث لا يوجد خصام، يسود المجد، وعلى الأرض، حيث كل يوم هو يوم حرب يملك السلام. « على الأرض السلام» يحل السلام على مَنْ ؟ يحل السلام بين الناس. فلماذا كانت الأمم الوثنية تحيا بدون السلام؟ ولماذا كان اليهود أيضًا ليس عندهم سلام؟ هذا هو بالضبط الذى يجعل السلام يحل بين أناس محدّدين: والسلام يحل بين الناس ذوى الإرادة الصالحة، بين هؤلاء الذين رحبوا بميلاد المسيح.

قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض: « لنذهب الآن إلى بيت لحم» (لو٢:١٥) ، فلنترك الهيكل المهجور ولنذهب إلى بيت لحم. « وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب»(لو٢:١٥). وإذ كانوا منتبهين فهم لم يقولوا، لنذهب ونرى الطفل، أو لنذهب لنكتشف ما قد أعلنه الملاك لنا، بل قالوا لنذهب « وننظر الأمر الواقع» (الكلمة).

« فى البدء كان الكلمة» (يو١:١) ، «والكلمة صار جسدًا» (يو١:١٤)، الكلمة كائن دائمًا منذ البدء، فلننظر إذًا كيف صار من أجلنا. «وننظر هذا الكلمة الذي صار، الذى صنعه الرب والذي أعلمنا به الرب» (لو٢:١٥).

بقدر هذا نفسه صار، إذ أن هذا الكلمة نفسه هو الرب، فلننظر إذًا كيف أن هذا الكلمة نفسه، الرب ذاته، جعل نفسه يظهر، وجعل جسده معروفًا لنا. ولأننا لا نقدر أن نراه، مادام هو الله الكلمة الذى لا يُرى، دعنا نرى جسده، لأنه جسد (يُرى)؛ دعنا نرى كيف أن الكلمة صار جسدًا.

« لذا فقد جاءوا مسرعين» (لو٢:١٦). إن غيرة أرواحهم المتلهفة صارت أجنحة لأرجلهم؛ فلم يستطيعوا أن يمسكوا سرعتهم بسبب لهفتهم على رؤية الطفل، لذلك قال الإنجيلى: « جاءوا مسرعين» (لو٢:١٦) ، ووجدوا من يبحثون عنه، لأنهم ركضوا بحماس شديد.

دعنا نرى ماذا وجدوا « وجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعًا فى المذود» (لو٢:١٦). إذا كانت مريم زوجة يوسف حقًا، لكان من الخطأ القول «وجدوا الزوجة والزوج»، ولكن ذكر لنا الإنجيل المرأة أولاً ثم الرجل. فماذا قال الكتاب، «وجدوا مريم ويوسف» وجدوا مريم الأم ويوسف الحارس، «والطفل مضجعًا فى المذود». ولما أبصروا فهموا ما قاله الملاك لهم عن الصبي.

«وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها» (لو٢:١٩)، ماذا تعني كلمة «متفكرة» إنها تعني بالتأكيد أن العذراء كانت تتأمل مليّاً فى قلبها وفى أعماق نفسها وتفكر داخلها، فيما قد صنعه الرب.

« متفكرة به فى قلبها» لأنها كانت امرأة قديسة، وقرأت الكتب المقدسة وتعرف الأنبياء وتتذكر أن ما قاله الملاك جبرائيل لها هو نفس الأمور التى سبق وتنبأ بها الأنبياء. كانت تتأمل فى قلبها ما إذا كان الأنبياء قد سبق وأشاروا للكلمات: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، لذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو١:٣٥). لقد قال الملاك جبرائيل للعذراء نبؤة إشعياء فى بشارته لها: «ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعوا اسمه عمانوئيل» (إش٧:١٤). لقد قرأت العذراء نبؤة إشعياء وسمعت بشارة الملاك لها.

تطلعت العذراء إلى الطفل وهو مضجع أمامها؛ ونظرت الطفل وهو يبكي فى المذود، رأت العذراء هناك ابن الله، إبنها، إبنها الواحد والوحيد؛ وتطلعت إليه، وفى تأملها، كانت تقارن ما سمعته بما قرأت وبما أدركته هى نفسها. وحيث إن العذراء كانت تتأمل فى قلبها، فلنتأمل بالمثل، نحن فى قلوبنا إنه فى هذا اليوم وُلد المسيح. ولكن هناك البعض يعتقدون أن المسيح وُلد فى يوم «الابيفانيا»، بيد أننا لا ننتقد رأي الآخرين، ولكننا نتبع مسار نتائج دراستنا الخاصة. « فليفتكر هذا جميع الكاملين منّا، وإن افتكرتم شيئًا بخلافه، فالله سيعلن لكم هذا أيضًا» (في٣: ١٥)، فمن يقول إن الله قد سبق ووُلدَ فعلاً، ونحن نقول إن الله وُلد اليوم، فكلانا على حد سواء نعبد ربًا واحدًا، ونعترف بطفل واحد. دعونا نستعرض بعض الحقائق القليلة، وذلك ليس لتوبيخ الآخرين ببراهيننا الخاصة، إنما لكي ندعم ونعزز موقفنا. نحن لا ننشر آراءنا الخاصة ولكننا نؤيد التقليد. فالرأي الشائع فى العالم يتعارض مع تفكير هذه المنطقة. قد يعترض أحد ويقول: «إن المسيح وُلد هنا، فهل أولئك الذين يعيشون بعيدًا عن هذا المكان لهم دراية أكبر من أولئك الذين يعيشون فى بلد ميلاده؟ من أخبرك بهذا؟ إن أولئك الذين كانوا من تلك المقاطعة، هم بالطبع **الرسولان بطرس وبولس** وبقية التلاميذ. بذلك أنت قد رفضت التقليد؛ وأما نحن فقبلناه. فبطرس الذى كان هنا مع يوحنا، الذى عاش أيضًا هنا مع يعقوب، **علّمنا أيضًا نحن الذين فى الغرب**. **فالرسل هم معلموك ومعلمونا**.

توجد هنا حقيقة أخرى، وهي أن اليهود كانوا يحكمون اليهودية فى ذلك الوقت، وعلاوة على ذلك يقص لنا أعمال الرسل هذه الحادثة « وحدث فى ذلك اليوم إضطهاد عظيم على الكنيسة التي فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل» (أع٨: ١). ذهبوا إلى قبرص وأنطاكيا، وانتشر اليهود الذين تشتتوا فى العالم كله. لقد كان اليهود يحكمون لمدة **٤٢ سنة** بعد صعود الرب، وكان هناك سلام فى كل مكان، ولكن هنا فقط توجد حرب. ولذا لقد كان من الممكن أن يُحفظ التقليد بسهولة فى الغرب أكثر من اليهودية حيث يوجد نزاع. وبعد **٤٢ سنة**، وصلت جيوش **فيسبيان وتيطس**، ودمروا أورشليم وخربوها (**٧٠م**)؛ وطردوا منها كل اليهود والمسيحيين. وحتى عصر **هادريان** ظلت أورشليم مقفرة؛ ولم يكن فى تلك المنطقة بأسرها يهودي واحد أو مسيحي واحد. ثم جاء **هادريان** وقام بتدمير ما بقي من المدينة، بسبب إندلاع ثورة أخرى لليهود فى الجليل. وبعد ذلك أصدر قانون بعدم السماح لأي يهودي أن يقترب من أورشليم. ثم أتى بمستوطنين من مقاطعات مختلفة ليقيموا فى أورشليم. وأذكر أن اسم **هادريان** هو **أيليوس هادريان** وبعد أن أخرب أورشليم أطلق على المدينة الجديدة اسم **أيليا**.

لماذا أقول كل هذه الأمور؟ أقول هذا لأنهم يقولون لنا إن في ذلك المكان عاش الرسل؛ وأقيم التقليد. ونحن نقول الآن إن المسيح وُلد اليوم؛ ووُلد ثانية فى الابيفانيا (عيد الظهور) وأنت يا من تدافع وتقول إن المسيح وُلد فى عيد الغطاس، فاثبت لنا الولادة والتجديد (إعادة الولادة). ومتى نال المسيح صبغة المعمودية، وإلا ستواجه النتيجة وهي أنه فى نفس اليوم وُلد وتجدد؟ فحتى الطبيعة تتفق مع رأينا؛ والعالم نفسه شاهدًا لرؤيتنا هذه. حتى هذا اليوم تزداد الظلمة على الأرض، أما منذ ذلك اليوم الذى وُلد فيه تتناقص الظلمة ويزداد النور، النهار يطول، ويتضاءل الإثم؛ يرتفع الحق. أما بالنسبة لنا، ففى هذا اليوم وُلد شمس البر. والخلاصة، خذ بعين الاعتبار نقطة أخرى؛ وهى أنه بين الرب ويوحنا هناك ستة أشهر، فإذا درست ميلاد يوحنا المعمدان بالنسبة إلى ميلاد المسيح، فإنك ستجد أن هناك ستة شهور بينهما.

وبعد حديثنا هذا عن كثير من الأمور، وبعد سماعنا للطفل وهو يبكي فى المذود، وبعد أن كرمناه هناك، فلنستمر فى تكريمنا له اليوم. فلنحمله على أيدينا اليوم ونمجده كابن الله. الإله القدير الذى

هامتا الرسل بطرس وبولس

طالما أرعد فى السماء لوقت طويل جدًا ولم ينقذ الإنسان، نجده اليوم يبكي وكطفل رضيع يخلص الإنسان. فلماذا أقول كل هذه الأمور؟ لأن الكبرياء لا يجلب الخلاص أبدًا ولكن التواضع يصنع الخلاص. وطالما كان ابن الله كائنًا فى السماء، لم يعبده إنسان، ولكن لما نزل على الأرض صار معبودًا. ذلك الذى له تحت قدميه الشمس والقمر والملائكة، لم يُعبد على الأرض، لقد وُلد إنسانًا كاملاً، إنسانًا صحيحًا كاملاً، لكي يشفي العالم كله. أي عنصر من طبيعة الإنسان لا يتخذه لنفسه لا يقدر أن يخلصه. فلو أنه كان قد اتخذ الجسد فقط ولم يتخذ النفس أيضًا، لما كان قد خلّص النفس. فهل يخلص ما هو ذا قيمة أقل ولا يخلص ما هو أهم وأعظم؟ وإذا قالوا إنه خلّص النفس التي اتخذها، فخذ بعين الإعتبار كما أن النفس أسمى من الجسد هكذا بالمثل فإن العقل هو القوة الحاكمة فى النفس ذاتها. فلو أن المسيح لا يخلص العقل الإنسانى فلا يكون قد خلص النفس التي هي أقل. وأنت تجيب إنه لم يتخذ لنفسه عقلاً بشريًا لكي يكون قلبه حرًا من الرذائل الإنسانية والأفكار الشريرة والشهوات. أتعني إذًا بذلك أنه لو كان لم يستطع أن يضبط ما خلقه هو فإني يجب أن أعتبر نفسى بغير جدارة إن كنت لا استطيع أن أغلب ما كان ينبغى أن يغلبه هو.

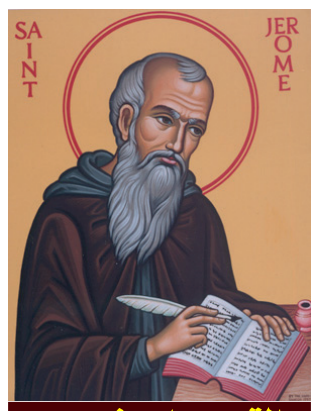

القديس إيرونيموس

لقد نسينا ما عزمنا عليه وتكلمنا أكثر مما نقصد فى نفس الوقت. فالعقل خطط أنه يفعل شيئًا ما، ولكن اللسان فى حماسة إنزلق وسبق العقل. فلنستعد الآن لكي نصغي بعناية إلى الأسقف ونخبئ باجتهاد فى قلوبنا ما سيقوله عن ما لم أتطرق إليه أنا، فلنبارك الله الذى له المجد إلى أبد الأبد آمين.

وداعة المسيحي

للقديس باسيليوس الكبير

«باركوا الذين يضطهدونكم باركوا لا تلعنوا» (رو١٢:١٤)، وعليه بارك أيها المسيحي مَن يضطهدك! وإذا احتقرك أحد فاذكر أنّك من التراب والى التراب تعود. فإنك إن حصّنت نفسك بمثل هذه الأفكار تجد كلّ عار أصغر من الحقيقة. وعلى هذه الصورة لا تدعْ مجالاً لإنتقام العدو لعدم إكتراثك لإضطهاده، وتحصل على الأكاليل بصبرك، وتحوّل جنون غيرك إلى أسباب تعود إلى حكمتك الخاصة.

لا تزد حرفاً واحداً من نفسك على كلام قريبك الذي يشينك، إذا قال قريبك أنك عديم الشرف فلا معنى لقوله أبداً. فاذكر أنّك تراب ورماد. وإن قال الآخر أنك جاهل فقير وغير مهذب فقلْ بلسان القديس مرنم المزامير: أنا دودة صغيرة ومصيري إلى الفساد. وإن حملتْك التجربة على شتم أخيك بالمسيح فتصوّر أنّ زمام أمرك في يدك إن شئت. فإما أن تقترب إلى الله بالصبر وطول الأناة أو تستسلم لعدوك بالحماقة والغضب. فلا تتسرع بل فكّر جيداً حتى تختار الأفضل وتكون مثالاً بالوداعة **لعدوك** فينتفع منك. فهل من شيء أنفع له كرؤيته عدوه أعلى وأرفع من كل إهانة؟ إن من يضرب إنساناً لا يشعر بالألم يقاصص نفسه لأنه بهذا لا ينتقم من عدوه ولا يسكّن حدة غضبه.

ومثله الذي يوبخ إنساناً لا يؤثّر الكلام فيه. فهو لا يروي حدته بل على العكس يكاد قلبه يتمزق من الغضب وإن لم تبادر إلى إهانة عدوك، فسرعان ما يقول الحاضرون: إنه قادح سفيه، وأنك كبير النفس. إنه شرس احمق، وأنك طويل الأناة ووديع فيندم على قوله. أما أنت فلا يمكن أن تندم على الفضيلة أبداً. أما إذا كنت تقابل الإهانة بالإهانة انتقاماً من عدوك، فبماذا تبرر نفسك؟ أتقول أنه أغاظك وهو

القديس باسيليوس الكبير

الذي ابتدأ الخصام؟ فهل يستوجب قولك هذه المعذرة والصفح؟ إن الزاني الذي يرمي الذنب على الزانية لأنها هي التي أغوته وجرّته إلى الإثم، لا يخفف اعتذاره هذا شيئاً من دينونته. **فلا أكاليل من دون جهاد ومقاومة ولا انتصار بلا أعداء**! فإذا غضب عدوك منك، فيحق له هذا الغضب لأنه لم يرَ مثالاً صالحاً حكيماً فيك! إنك ترى قبح منظر الغضوب ولا تحترس من تقليده والتشبه به، بل بالعكس تحذو حذوه وتتخذ حدتك عذراً لك، فعملك هذا يوقع الذنب عليك ويبرر عدوك.

فإذا كانت الحّدة رديئة، فلماذا لا تبتعد عنها؟ وإذا كانت تستوجب التساهل والمسامحة فلماذا تغضب ممن أغاظك؟ إن القول أنك ليس بأول منتقم، لا ينفعك. فالفائز بإكليل الظفر هو المتغلب لا من بدأ بالقتال. وعليه لا يؤاخذ البادي بالشرّ وحده بل الذي يتبع **إثم القائد الشرير**. فإذا عيّرك عدوك بأنك فقير، فاعتبر كلامه صدقاً إن كان فقرك حقيقياً، وإن كان قوله كذباً، فما لك وله! ولا تفتخر بالثناء الذي هو أكثر مما تستحق، ولا تحزن من إهانة لا تخصّك! ألا ترى أن السهام تخترق عادة الأجسام القوية العنيدة، وتضيع قوتها السامة في الأجسام اللينة المطاوعة، هكذا الشتائم تشبه ما ذكرنا، فإنها تقع على من يقاومها، ويلين شرها على من يطاوعها. إنك إن غضبت تثبت الشتائم لنفسك، وإن لم تغضب تسبب العار للمعتدين عليك.

فبمثل هذه الحالة النفسية الحكيمة تهدّىء إضطراب قلبك وثورانه وتسكن أفكارك. لنترك الغضب حتى في التجارب ولو كان آتياً من السماء لأجل الفساد البشري والكذب! إذا كنا نستأصل جذور الغضب المرّة بالتعقل والحكمة نتغلب على قبائح كثيرة في بدء ظهورها: **كالخداع والريبة والكفر والأخلاق السيئة والنيات الرديئة والوقاحة** وكل ما يشبه هذا من الآثام المتفرّعة عن **خطيئة الغضب**. فلا تعط سبيلاً للشيطان ليقترب منك ويسد الطريق لدخول الروح القدس إلى نفسك لأنه حيث تكون العداوة والغيرة والغضب لا يكون روح الوداعة. لكن، إذا تبعنا وصية الرسول القديس نطرح من نفوسنا كل غضب وحدّة وشر ونتساهل، بعضنا مع بعض، منتظرين الغبطة الموعود بها الوداعاء. **فطوبى للوداعاء لأنهم يرثون الأرض كما قال سيدنا يسوع المسيح** الذي له المجد والملك إلى دهر الداهرين آمين

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ويدعو خرافه الخاصّة بأسمائها

يدعو الكاهن المؤمن بإسمه عندما يناوله جسد المسيح ودمه المقدّسين. يدعوه بالإسم الذي أعطي له عندما غدا إبناً للّه ، عندما اعتمد على إسم الآب والإبن والروح القدس.

ولحظة المناولة هي لحظة لقائنا الشخصيّ بالربّ. المسيح، الراعي الصالح ، يدعو خرافه الخاصّة بأسمائها ، بفم الكاهن ، فتقترب منه خرافه وتقتبل من يديه الكليّتي الطهارة الغذاء الذي يُنبع عدم الفساد. «لا تظنّن إذاً ، عندما ترى الكاهن يناولك الأسرار الطاهرة أنّه هو مَن يقوم بذلك ، بل هي يد المسيح المقدّسة التي تمتدّ إليك» (يو١٠:٣)، «هكذا يغدو الراعي باب الخراف، باب "الحياة" الملوكيّ ، وبه تدخل الخراف وتخرج وتجد مرعى».(يوحنا الذهبيّ الفم)(يو١٠:٩).

والمسيح أيضاً هو مرعى الخراف ، «أعني أن المسيح هو الراعي الذي يطعم خرافه من أعضائه الخاصّة. ولما أقول أن المسيح هو الراعي ؟ لأنّه يوجد العديد من الأمهات اللواتي يعطين أولادهنّ بعد ولادتهم إلى حاضنات أطفال. لكنّ المسيح لم يسعه إحتمال هذا الأمر ، بل هو يغذّينا بذاته من دمه الخاصّ ، وبشتّى الطُرق يوحدّنا به ... بالأسرار يتّحد نفسه بكلّ واحد من المؤمنين ، فالذين ولدهم لا يعطيهم لأحد آخر ، بل يطعمهم بذاته ويمنحهم نفسه غذاء» (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

نحن والمسيح واحد

القدّاس الإلهيّ ، في كليّته ، هو بحر نعمة اللّه ومحبّته. ونحن على طول إحتفالنا به نتقبّل مواهب النعمة. لكنّنا في هذه اللحظة إنّما نتقبّل معطي الهبات نفسه ، أعني المسيح: «لأنّنا لا نشترك بما له ، بل به هو» (القديس نيقولاوس كاباسيلاس).

بالمناولة الإلهيّة نغدو مزيجاً واحداً بدم المسيح المقدّس وعجينة واحدة بجسده المقدّس. ويقول الذهبيّ الفم: «أنت تقتبل المسيح داخلك ، فتمتزج بدمه المقدّس وتنعجن بجسد الربّ الموجود في السماء». يمتزج بنا دمّ السيّد الكليّ الطهارة ويحوّل حياتنا. «يجعلها أكثر صلابة ، ونقاوة ، ويقودها إلى الجمال الذي لا ينتهي»(القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

و«هذا الدم ، كما يشدّد الذهبيّ الفم ، يحيي الصورة الملكيّة ، هذا الدم يلد الجمال الذي لا يوصف ، هذا الدم لا يسمح أن يتلطّخ شرف النفس، لأنّه يسقيها ويطعمها على الدوام ... هذا الدم هو خلاص نفوسنا ، به تغتسل النفس وتتزيّن وتتّقد. هذا الدم يجعل الذهن

أكثر إشراقاً من النّار ويجعل النفس أكثر لمعاناً من الذهب» (الذهبيّ الفم).

المسيح يدخل فينا ولا يقدّس النفس فقط بل الإنسان برمّته. فبالمناولة الإلهيّة «تتّحد نفس بنفس ، وجسد بجسد ، ودم بدم ... يا لهذه الأسرار العظيمة ! يا لهذا العجب أن يتّحد ذهننا بذهن المسيح ! أن تصير إرادته واحدة مع إرادتنا ، وجسده واحداً مع جسدنا ، ودمه واحداً مع دمنا ! كيف يغدو ذهننا بحضور الذهن الإلهيّ ! وما ستكون عليه إرادتنا عندما تحلّ الإرادة الإلهيّة فينا ! ماذا سيكون عليه هذا التراب عندما يضطرم بالنّار !». «ومناولة السرّ تُظهر المتناولين باستحقاق أنّهم ، بحسب النعمة والإشتراك . مشابهون لذاك الذي هو صالح من ذاته ، وذلك دون أن ينتقصوا منه شيئاً البتّة» (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

أما القديس سمعان اللاهوتي الحديث فيسبّح الربّ بعد المناولة الإلهيّة قائلاً:

« يا مخلّص ، ما هذه الرأفة ؟ إنّها رأفة بلا حدود ! كيف ارتضيت أن تجعلني عضواً من جسدك ، أنا الدنس ، الضّال والزاني ؟

كيف تلبسني الحلّة المذهّبة المتلألئة بنور عدم الموت ، فتحوّل إلى نور أعضائي كلّها ؟

فإنّ جسدك الطاهر البريء من العيب يتلألأ بنور لاهوتك الملتحم به بحال لا توصف ...

وأنا أدرك أنّي قد اتّحدت بألوهتك
وصرت جسدك الكليّ الطهارة ،
عضواً متلألئاً ، عضواً قدّيساً حقّاً ،
عضواً مُشرقاً ، شفّافاً ، نيّراً.

يتبع

قال حكيم

كن بلسماً إن كان دهرك أرقما
وحلاوة إن كان غيرك علقما

تتمة من العدد السابق:

تُرى ما هي العوامل المساعدة في حربنا ضدّ الشياطين ، سواء في حالة وجود الأرواح النجسة في الإنسان ، أو في حربنا ضد القوى الشيطانيّة ، التي نلمس أثرها الكبير في أيامنا الحاضرة ؟.

إنّ كلمة اللّه ، لها أثرها القويّ الفعّال حينما نضمّها في صلواتنا وتضرّعاتنا – مثال ذلك:

«لقد جرّد (يسوع المسيح) الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه» (كولوسي٢:١٥).

«لأجل هذا أُظْهِرَ ابن اللّه لكي ينقض أعمال إبليس» (١يو ٣:٨).

«شكراً للّه الذي يُعطينا الغلبة بربّنا يسوع المسيح» (١كو ١٥:٥٧).

«صوت ترنّم وخلاص في خيام الصدّيقين. يمين الربّ صانعة ببأس» (مزمور ١١٧:١٥).

«قد أُكمل» (يوحنا ١٩:٣٠).

«إن حرّركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يوحنا ٨:٣٦).

«ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤيا ١:١٨).

إنّ الشيطان يهرب ، وجنوده يولّون الأدبار ، حينما ندعو **يسوع ، الرئيس المنتصر ، الذي سحق رأس الحيّة ، وحطّم سلطان الجحيم** ...

ونستطيع بهذه الأقوال الترنيميّة أن نتحدّى قوّات الجحيم:

«وليرتفع ترنيمنا ، لإسم المسيح الفادي ، محرّر الأسرى القوي، محطّم الأعادي ، وليرتفع هتافنا لربّنا المجيد ، فيرتعب جيش العدى من هوله الشديد ، بإسم المسيح تُفتح الأبواب في الأعالي، والشياطين تهربُ من سيّد الجلال .... »

« هو الواحد الذي له مثل هذا الجبروت ، هو يسوع الذي كسب المعركة ، والذي حطّم قوّة الشيطان ، وهو وحده الذي ما زال يدفع العدو للفرار ، منتزعاً من قبضة الشيطان سلطته ، ذلك لأنّه بطلنا المجيد الحيّ ، لقد دفع عنّا فديتنا بالكامل ، ومكائد الشيطان قد انتهت إلى لا شيء ، وكافة مطاليب العدالة إنتهت ، وأصبحت نفوسنا يمتلكها المسيح، الذي دفع حياته ليصحح الأوضاع ، ويفتدينا نحن الخطأة البؤساء ، وهكذا دعنا نرنّم لإنتصار المسيح ، ولتركن قوات الأعداء للفرار، فإسم يسوع له كل هذا السلطان ، ولا مجال لجحافل الظلمة إلاّ الخذلان ، بعد أن كانت لهم قوّتهم الشديدة المرعبة».

« في إسم يسوع وفي جروحه لنا الإنتصار ، لقد سحق يسوع المسيح رأس الحيّة ، وحطّم سلطانها عليَّ ، وكسب لي الإنتصار، لقد حطّم قوّة الموت في قلبي وأذلّ سلطانه في حياتي ... لقد غلب الموت ... ، لقد إنتصر الحمل ... الأسد الخارج من سبط يهوذا، لقد غلب قوّة الشيطان في حياتي يسوع هو المنتصر ، لقد أتى يسوع ليحطّم أعمال إبليس وقد نُقضَت فعلاً لأنّ يسوع هو المنتصر ، لقد إفتدانا يسوع من سلطان الخطيّة لأنّه يقول: "إن حرّركم الأبن فبالحقيقة تصيرون أحراراً" وهذا الحقّ فعّال فيّ. لقد إفتُديتُ من قيود الإثم والخطيّة يسوع هو المنتصر... ، إنّي أعلم أنّ فاديَّ حيٌّ وهو قد إفتداني من الهلاك ليشكّلني خليقة جديدة له يسوع يحرّرني ... ، لقد جرّد يسوع أعداءه وأشهرهم جهاراً في الصليب يسوع هو المنتصر على كلّ الأعداء ، إنّ يسوع له مفاتيح الهاوية والموت. ليزمجر العدو كما يريد لكنّه لن يستطيع أن يوقع بي الأذى. لقد إفتُديتُ . يسوع هو المنتصر...».

إنّنا كلّما تمرّسنا في فنون القتال ، ومارسنا الحرب في روح الإيمان ، والصلاة ، نختبر الإنتصار الأعظم ، وكلما هاجمنا الشيطان أكثر ، كلّما إزددنا رسوخاً في الإيمان ، وتقدّماً في الإنتصار ، وما الهجمات التي يشنّها الشيطان علينا ، إلاّ الواسطة التي نزداد بها تأصّلاً في الإيمان ، ويزداد لنا ثِقَل المجد الأبدي هناك ، أمام عرش اللّه.

ينبغي أن نذكر أنّنا لسنا بمفردنا في الصراع ، ذلك لأنّ اللّه قد كلّف الملائكة القديسين ليحاربوا ضدّ تلك الأبالسة. وكم هو مهمٌ لنا أن ندرك هذه الحقيقة! إنّ هؤلاء المحاربين السمائيين قد زُوّدوا بقوّة هائلة من عرش اللّه في الأعالي ، ليبذلوا كلّ ما في وسعهم لخدمتنا ، ونصرتنا. هذه حقيقة يمكن أن نعتمد عليها كلّ الإعتماد ، وإلاّ فكيف يمكن أن نَثبُت في عصر قد ثَبَّتَ فيه الجحيم حصونه على الأرض ، فأصبحنا محاطين دائماً بتلك الشياطين ومعَرَّضين لتجاربها المتكرّرة.

ملاحظة جانبيّة: في خدمة الملائكة للبشر أنظر بعض هذه الآيات (تكوين٢٤:٧ ، خروج٢٣:٢٠ ، طوبيّا ٣:١٧ ... وغيرها كثير في الكتاب المقدّس... وكذلك قانون تضرّع إلى **الملاك الحارس حياة الإنسان**: كتاب السواعي الكبير صفحة ٦١٩).

أمّا إن كُنّا نثابر في الجهاد ، يوماً بعد يوم ، واثقين في نصرة يسوع ، وقوّة ملائكته فإنّنا لابدّ وأن ننال هذا الإنتصار ، وحتى ولو كان الشيطان يجول ملتمساً مَن يبتلعه هو كأسد مفترس مزمجر ، (١بطرس ٥:٨)، فإنّه لن يستطيع أن يُنَفِّذ مخطّطاته.

ولن تنجح إستراتيجيّته، نعم. إنه لو حاول أن يوقع الضرر بنا فلا قوّة فيه على الإنتصار.

إنّ الشيطان، في ثورته ضدّنا، وتمرّده على اللّه، يخدم ودون أن يدري، مقاصد اللّه. فالمؤمنون يتعلّمون الثبات في الإيمان، عن طريق هجماته، ويزدادون قوّة في الحياة الروحيّة، كلّما زاد هياجه، وحينما يثبتون في الإمتحان، سوف يكون من نصيب الغالبين إكليل الحياة. إن الشيطان يصبح في هذه الحالة، أداة لإتمام أغراض اللّه، ومخطّطه الأزلي ليس في حياتنا الشخصيّة فحسب، بل في عمل اللّه، في التاريخ، وهذا ما سنصل إلى معرفته الكاملة هناك في السماء.

وحتى في حدود معرفتنا القاصرة نستطيع أن نُدرك بأنّ ثورة الشيطان في تدبير الزمان الأخير، واستعراض عضلاته الجبّارة الجهنميّة لابدّ وأن تؤدي في النهاية إلى تحطيم قوّته، وهزيمته الساحقة، فالسلطان الذي يفرضه على الناس سينتهي إلى الزوال، والإنتصار النهائي هو ليسوع، الذي لابدّ وأن تُحنى أمامه كلّ ركبة.

أما مصير الشيطان في الحصيلة النهائيّة، فهو: «**في البحيرة المتّقدة بالنّار والكبريت**» (رؤيا ٢٠:١٠).

إنّنا نقترب من الساعة التي سيجلس فيها يسوع ملكاً على كلّ ممالك العالم، إذاً دعنا نحيا في توقّع أمجاد تلك الساعة، دعنا نُعدّ أنفسنا لها، ونُقاوم بكلّ ثبات، هجمات الشيطان المركّزة، في زماننا الحاضر.

ولكي نفوز بالإنتصار، على عدوّنا الجبّار، علينا بالتّالي أن نعرف ليس فقط أعدائنا، بل أيضاً أصدقائنا... علينا أن نعرف أحلافنا من الملائكة الخادمين لنا الذين لهم ـ حسبما يؤكّد الكتاب ـ القوّة الجبّارة، في وقوفهم إلى صفوفنا وحربهم ضدّ قوّات العدو الماكر، وهذا هو تكليفهم في هذه الأزمنة الأخيرة، ذلك لأنّ الهاوية في أزمنتنا الحاضرة، قد أصبحت، كما لم يحدث في وقت مضى، خليّة من النشاط والعمل، تخطّط لقوّاتها العاملة في كافةّ الميادين في الأرض، ولجيوشها الذين تنظّمهم وتُرسلهم بشكلٍ مستمر.

وبأقصى قوّة وفاعليّة نرى الملائكة أيضاً، الكائنات النورانيّة

الطغمات الملائكيّة

أمام عرش اللّه، هي الأخرى في حركة، وفعاليّة، ونشاط دائب. فهي الكائنات الإلهيّة، التي ستكون تحت قيادة يسوع المسيح في التدبير الأخير، في معركتها النهائيّة ضدّ جحافل الأبالسة لتقتلعها من جذورها بالكليّة، وفي إسم يسوع المسيح سوفَ يُحارب الملائكة القديسون، وفي إسم يسوع المسيح سوفَ يكون لهم الإنتصار. إنّ قوّة الملائكة هي أعظم بآلاف المرّات من قوات الأبالسة، وسوفَ يكون مصير إبليس وجنوده السحق في النهاية.

وحينما نتطلّع في رهبة، إلى ما يثيره الأبالسة من هجمات ضدّ البشر دعنا من الجانب الآخر نذكر هذه الطغمات السماويّة، وهي إلى جواره في الحرب، دعنا نوقن بمساعدتها لنا، وعند ذاك نرى الشيطان ساقطاً بلا قوّة، مهزوماً مع جنده بلا فعاليّة فَلَهُ الهزيمة، والكسْرَة العظيمة.

وبالرغم من كلّ ثورته، مع كلّ جنده وقوّته، فهو ليس شيئاً على الإطلاق، أمام الملائكة، بقوّاتها الإلهيّة الثابتة التي لا تتزعزع.

يتبع في العدد القادم

التوبة وطلب المغفرة من اللّه

يشخّص أحد الشعراء الزاهدين مسيرة الإنسان وكيفيّة سلوكه في طريق الضلال، ولا يجد إلاّ البكاء على الخطايا السالفة، لنوال الغفران عنها أمام الله الديّان.

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفٌ ... له عن طريق الحقّ قلبٌ مخالفُ
قديماً عصى عمداً وجهلاً وغرةً ... ولم يَنهَهُ قلبٌ من اللّه خائفُ
تزيد سنّوه وهو يزداد ضلةً ... فها هو في ليل الضلالة عاكفُ
تطلع صبح الشيب والقلب مظلمٌ ... فما طافَ عنهُ من سنى الحق طائفُ

ثلاثون عاماً قد تولّت كأنّها ... حلومٌ تَقَضّت أو بروقٌ خواطفُ
وجاء المشيب المنذر المرء أنّـهُ ... إذا رحلت عـنه الشبيبة تالفُ
فيا أيّها الإنسان قد أدبرَ الصبا ... وناداكَ من سنّ الكهولة هاتفُ
فهل أشرق الطرفَ الزمان الذي صفا ... وأبكاه ذنبٌ قد تقدّم سالفُ

فجدّ بالدموع الحمر حزناً وحسرةً ... فدمعك يُنبي أنّ قلبك آسفُ

وقال زاهدٌ آخرَ في تدبير الله وفي عدم السجود للمخلوق

كلُّ رزقٍ ترجوهُ في مخلوقِ ... يعتريه ضربٌ من التعويقِ
وأنا قائلٌ واستغفر اللّه ... مقال المجاز لا التحقيقِ
لستُ أرضى من فعل إبليس شيئا ... غير ترك السجود للمخلوق

ميمر لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة الإسكندرية في ختان ربنا يسوع المسيح بالجسد

ها نحن نُبصر المجمع كبيراً جداً ، والسامع نشيطاً ، والكنيسة مملوءةً ، وأمّا المعلّم فليس غنيّاً. لكن المعطي للإنسان لساناً وفماً يرزقنا أيضاً معاني صالحة ، لأنّه قال في بعض المواضع: أوسع فمك فأملؤه. لأنّكم قد جئتم أجمعين بنشاط ، وحَملتم إلى هذا الموضع بهاء العيد السيّدي ؛ فلنعيّد عيداً بهيّاً ، بمصابيح مزهرة ، ونأخذ في منظر الأمور الإلهيّة الآتية بإلهنا والمكمَّلة اليوم ، ونجمع لذاتنا الأمر الحقيقي لأمانة ومودّة اللّه. وذلك أنّنا عاينّا منذ يسير طفلاً موضوعاً في مذود ، والذي هو عمانوئيل ، مقمّطاً ملفوفاً لفّاً بشريّاً ، ومسبّحاً تسبيحاً إلهيّاً من جنود الملائكة القدّيسين ، وهم الذين بشّروا الرعاة بولادته ، لأنّ الإله الآب قسم كرامة خاصّة للمنادي بالسماء عن الكارزات التي من أجله ؛ ونشاهده اليوم طائعاً فرائض موسى، بل فرائض واضع النّاموس ، وبما أنّه إله مطيعاً أوامره.

ولأيّة علّة يُعرّف بذلك بلا شكٍّ **بولس الكبير الحكمة** إذ قال: إنّنا لما كنّا صبياناً كنّا متملّكين تحت عناصر العالم ، فلمّا حان كمال الزمان أرسل اللّه ابنه مولوداً من إمرأة ، صائراً تحت النّاموس ليبتاع الذين تحت الناموس ؛ فإذ كان المسيح يبتاع الذين تحت الناموس ، الذين لم يكونوا أيضاً يحفظونه واقتادهم من لعنة الناموس ، فكيف ابتاعهم لمّا أكمل الناموس؟ ولحال آخر ، ليحلّ آدم من ذنوب المعصية ، ويوقفه للإله الآب حسنَ الطاعة وسهل الإنقياد في أي الأشياء كانت ، وذلك كتب كما أن بمعصية إنسان واحد صار الأكثرون خطأة ، كذلك بطاعة الواحد يصير الكثيرون صدّيقين ؛ فأدخلَ أيضاً العتق معنا في الناموس ؛ وصنع هذا بتدبيره ، لأنه كان يليق أن يتمّم كلّ عدل ، ولأنّه اتّخذ بالكليّة صورة عبد. من أجل هذا السبب أكمل الواجبات عن الذين هم تحت النير من أجل الإنسان ، وأدّى ، في بعض الأوقات ، جزية إلى المستخرجين ، وذلك أنّه كان في طبيعته حرّاً وغير مؤدٍ بما أنه ابن. فإذا ما أبصرته حافظاً للناموس ، فلا تشكّل ولا تحطّ الحرّ إلى العبيد ، بل إفتكر في عمق التدبير ، وذلك أنه لما حضَرَ اليوم الثامن الذي جرت فيه العادة أن تكمّل الختانة التي بالجسد على افتراض الناموس ، قَبِلَ الإسم الذي هو يسوع، والذي تفسيره خلاص الشعب ، لأنَ الإله الآب لم يؤثر أن يدعى إبنه الخاص إذ وُلد بالجسد من إمرأة ، لكن ، خاصّة في ذلك الوقت ، صار خلاص الشعب ، لا شعب واحد بل شعوب كثيرة ، وصار إكثار كلّ أمّة وجميع مَن تحت السماء بهذا ؛ فكان ، إذاً ، أمر الختانة يكمل ويقبل التسمية. وما هو الرمز وأيّة أسرار يوضحها الأمر المكمَّل ، فهات إذاً نفتّش مقال بولس الرسول المغبوط إذ قال: الختانة ليست شيئاً ولا القلفة شيئاً. لكن قد يتّفق أن يقول أحد: أفترى أمراً ليس التحفّظ به شيئاً ، وقد أمر به إله الكلّ موسى الكلّي الحكمة ، وحدّد عقاباً على مَن يخالفه؟ فأقول إذاً أن جميع ما وَجَب في طبيعة الأمر ، أعني المكمَّل في البشرة ، ليس هو البتة شيئاً. ومحضر السرّ رسم ليس هو غير حسن ، بل فيه إعلان الحقّ مكتوماً. لأنّ في **اليوم الثامن** قام المسيح من بين الأموات ، (اليوم الثامن هو يوم الأحد أي الأبديّة) ، ومنحنا الختان الذي بالروح ، وذلك أنّه أمَرَ رسله القديسين قائلاً: إذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم ، وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس.

ويقول أن الختانة التي بالروح تتمّ خصوصاً في وقت المعموديّة إذا ما أوضحنا المسيح شركاء للروح القدس. وكأنّ بهذا أيضاً رسم رئيس الكهنة يسوع القائد بعد موسى الذي جلس في ذلك الحين فختن بسكاكين صخريّة. إذاً ، إذا عبرنا الأردن فحينئذ يختننا المسيح بقوّة الروح القدس ، لا مطهّراً للبشريّة بل قاطع دنس النفس. ولذلك اختتن المسيح في اليوم الثامن، وأخذ التسمية لأنّ به تخلّصنا ، وأصعدوه إلى أورشليم ليوفوه للرب. يا لهذا التدبير العظيم! ويا لعمق وغنى وحكمة وسابق معرفة اللّه! مَن هو في حضن الآب ومساويه في المرتبة والإبن المساوي أباه في الأزليّة ، والذي به صار كلّ شيء تقدّم كما يليق بالعبد ، إذ إنه صار في حدود البشريّة ، وقدّم ذبيحةً القابلُ عادات الكلّ والممجَّد مع أبيه.

وماذا قدّم بما أنه بكر ذكر ؟ زوج يمام أو فرخي حمام كالمأمور به في الناموس ؟ وماذا يشاء أن يوضح باليمامة وعلامَ يدلّ بالحمامة ؟ هات إذاً ، هات نبصر! ذلك أن الواحدة أشدّ تحكّماً في طير البرّ ، والأخرى هادئة وديعة. فمثل هذا صار فينا ربّاً ومخلّص الكلّ ؛ كانت فيه وداعة إلى الغاية ، وكلماته تحوي ما تحت السماء ، وبحسن صوته علا كرْمه الذي هو نحن المؤمنون به ، إذ تلك اليمامة سُمعت في أرضنا ، لأن الكرز الإلهيّ كلّمنا به المبشّر المخلّص وأما أنهم حملوا يماماً وحماماً لما وقف الرب فقد كان الأمر يستحقّ أن يشاهد. في وقت واحد أكمل معاً حقائق الرسوم ، فقدّم المسيح إرادته كالرائحة الزكيّة ، لكيما وبذاته يقدّمنا للإله الآب ، وهكذا يحلّ الرجعة الصائرة منا من أجل مخالفة آدم ، الخطيئة المتمرّدة علينا. ونحن كنّا صارخين ليلاً ونهاراً قديماً: أنظر إليّ وارحمني. وماذا يكون لنا مساوياً للعزاء:أن نعلم بأن اللّه قد خلّص من تحت السماء بتوسّط الإبن

من أجل أنه صار مثلنا. وقد كُتب أن الإله واحد ، ومتوسّط واحد بين اللّه والناس ، الإنسان يسوع المسيح الباذل ذاته فداءً عنا. لقد إنحدر طوعاً من أجل ضعفنا ، ليوضحنا أغنياء إذا ربحنا أموره. فانظر إليه إذاً كيف هو يقدَّم للآب كأحدنا ، ومعطياً أيضاً أوامر الناموس ، وذابحاً مجاري العادة. وإن كانت هذه الأمور مصنوعة بآلام ، أترى كان غير معروف من جميع قاطني أورشليم ؟ أم لم يعرفه ولا واحد من الذين هناك ؟ وكيف يكون هذا محقّاً ؟

لأن الإله الآب تقدّم فكرز بأنبياء قديسين ، مثل أمر قد صار مظهراً للأبن في كل زمان ليخلّص الضّالين ويبشّر المظلومين ، فقال بأحد الأنبياء القديسين: سيقرب عدلي سريعاً ،وتنكشف رحمتي ، وأمّا خلاصي فيدعى مصباحاً ورحمة وعدلاً. فكان المسيح ، لأنّنا رُحمنا وتزكّينا واغتسلنا من وسخ الشرّ بالإيمان به. وكما أن المصباح يتقدّم في الليل للسائرين في الظلمة ، هكذا بعينه صار المسيح للذين في القتام والظلمة العقليّة ، ووضع لهم اللاهوت ضوءاً. فلذلك تضرّع الأنبياء إلى السيّد ليصيروا شركاء مثل هذه النعمة قائلين: ربّ أرنا نعمتك وأعطنا خلاصك.

إذاً، قد قُدّم المسيح إلى الهيكل ، وهو طفل صغير وتحت الثدي. أمّا سمعان المغبوط المكرّم بالنعم والنبوة ، فَقَبِلَه على ذراعيه ، ممتلئاً بالفرح الرفيع جداً ، مباركاً اللّه وقائلاً: «الآن أطلق عبدك بسلام يا سيّدي ككلمتك فإن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام جميع الشعوب نوراً لإستعلان الأمم ومجداً لشعبك إسرائيل». فقد تقدّم إذاً فأُعدّ سرّ المسيح ، قبل إنشاء العالم ، وظهر في أواخر الأوقات وصار نوراً للضّالين في الظلمة والساقطين تحت نير المحّال ، وهم كانوا العابدين البرّيّة دون باريها ، والساجدين للتنين رأس الشرور ، والمستغلّين مجد اللّه للشرّ والجن النجسين. لكن الآب دعاهم إلى معرفة الإبن الذي هو النور الحقيقي ، وذلك أنه قال بصوت أشعياء النبيّ: أعلّمهم وأقبلهم ويتكاثرون مثلما كانوا كثيرين، والآن هم مدعوّون بالمسيح. وكثيرون كانوا مثل من في القديم ، الذين قبلوا وخلصوا ، وأخذوا ميثاق الصلح من الإله الآب بالأمانة والإختصاص والنعمة التي بالمسيح. وتبدّد أيضاً ، في الشعوب ، التلاميذ المشرّفون ، وماذا يصير من هاهنا ؟ الذين كانوا بعيدين من اللّه بالنيّة صاروا قريبين. وبهذا أرسل بولس المغبوط قائلاً: أنتم الآن الذين كنتم قديماً بعيدين صرتم بدم المسيح قريبين. وإذ صاروا قريبين يصنعون للمسيح فخراً. وقال من أجلهم **الإله الآب**: أنا أدبّرهم بالربّ إلههم وبإسمه يتفاخرون قال الرب. وبهذا يعلّم داود المغبوط قائلاً كمن يناجي مخلّص الكلّ: ربّ بضياء وجهك يسلكون، وبإسمك طول النهار يبتهجون ، وبعدلك يستعلون ، لأنّك أنت هو فخر قوّتهم. ونجد أيضاً إرميا النبيّ صارخاً إلى اللّه: ربّ قوّتي ومعيني وملجأي في يوم حزني ، إليك تجيء الأمم من أقطار الأرض ويقولون كذباً إتخذ آباؤنا الأصنام وليست فيها منفعة.

دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

فصار المسيح إذاً نوراً لإستعلان الأمم ، بل ومجداً لإسرائيل. وإن كان قد صار منهم قوم شتّامين وعُصاة ، وذهنهم مملوءاً من عدم الفهم ، لكن البقيّة قد خلصت ومُجّدت بالمسيح وصارت مقدّمتهم التلاميذ المشرّفين الذين بحسنهم تشرق الكنيسة على كلّ ما تحت السماء. ومن جهة أخرى ، المسيح مجد لإسرائيل لأنّه جاء منهم بالجسد إله الكلّ ، ذلك الذي هو مبارك إلى الدهور آمين.

ويبارك سمعان العذراء أيضاً كخادمة المشيئة الإلهيّة وخادمة للولد الذي لم يؤثر السُنَن البشريّة ؛ لأنّها كانت بتولاً فولدت لا من رجل ، بل علّتها الروح القدس. وماذا ترى يقول سمعان النبيّ الشيخ عن المسيح؟ ها هو موضوع لسقوط ونهوض كثيرين من آل إسرائيل ولعلامة معاندة. ويُضَع أيضاً من الإله الآب عمانوئيل في أساس صهيون ، فهو حجر مزاو مختار كريم. لكن الذين آمنوا به لم يخزوا ، وأما الذين أنكروه والذين لا علم لهم ما قدروا أن يبصروا السرّ الذي عليه، فسقطوا وانسحقوا ؛ لأن الرب قال في بعض المواضع: ها أنا أضع في صهيون حجر عثرة وصخرة شك ، ومن يؤمن به لا يخزى ، ومن يسقط عليه يرضّه. لكن النبيّ يحذّر آل إسرائيل قائلاً: وترجوه ليكون لك خوفاً ، وإن توكّلت عليه يصير لك قدساً ، ولا تلتقونه كحجر عثرة ولا كصخرة سقوط. فاد من أجل أنه ربّ وإله دعي عمانوئيل ، لأن ليس بالكفر وقع وانسحق بل كثيرون نهضوا ، أعني الذين قبلوا الأمانة وارتفعوا من العبادة الناموسيّة إلى الروحانيّة ، وعوض أن يكون فيهم روح عبد استغنوا بالمعتق الذي من الروح القدس ، وصاروا شركاء الطبيعة الإلهيّة ، وأهّلوا للتبنّي وهم يؤمّلون أن يقتنوا المدينة التي فوق ، أي موطن السماوات.

وأمّا العلامة المعاندة فيعني بها الصليب الكريم. وكما أن بولس العليم بالحكمة كتب أن الصليب شكّ لليهود وسفاهة للأمم ، وأيضاً ذكر الصليب هو للهالكين جهالة ولنا ، نحن المخلّصين ، قوّة اللّه للخلاص ، فالعلامة إذاً تعاند الهالكين بأنّه ظنّ أحمق ، أما للذين عرفوا قوّته فخلاص وحياة. وذلك أن سمعان قال للعذراء القديسة أن ستدخل في نفسك حربة ، أعني بذلك الحزن الذي صار لها على الصليب ، لأنّها لمّا أبصرت المسيح الذي ولدته مصلوباً ، لم تعرف بعد أنه سيكون أفضل من الموت وأنه سيقوم من بين الأموات. ولا تعجب أن العذراء لم تعلم ، إذ وجدنا الرسل القدّيسين قليلي التصديق لهذا. وذلك أن توما آثر أن يؤمن ، إذ قال له باقي التلاميذ إن المسيح قد قام وجعل ذاته ظاهراً ، فيقنعنا الإنجيليّ الحكيم جداً ويعلّمنا جميع ما صاره المسيح بكليّته ، إذ صار بشراً من أجلنا وعنّا ، ولم يستنكف من أن يأخذ الضعف الذي فينا. فلنمجّده بما أنّه فادينا وربّنا ومخلّصنا وإلهنا ، لأن له وبه ومع الإله الآب يليق المجد والعزّة والقدرة مع الروح القدس الآن ودائماً وإلى أبد الدهور آمين آمين آمين.

عظة في عيد الظهور الإلهي

سرّ المعموديّة في المسيح - للقدّيس غريغوريوس پالاماس

معمودية المسيح

١) ـ تكلّمت البارحة على المعموديّة في المسيح. قلتُ إنها معرفةٌ للّه ووعدٌ له ، هي إيمان بالحقيقة ومعرفةٌ لها في اللّه: وعدٌ بأن نعمل ، ونقول ، ونسلك بما يُرضي اللّه. كلّ هذا يتمّ في الخدمة عن طريق رموز شريفة. وأضفنا أنه إن لم تُجسَّد هذه الوعود مع تلك الرموز الشريفة ، فلن تُجدي الخدمةُ نفعاً ، بل إنّها تجعلنا واقعين تحت الدينونة.

ومن ثمّ فَسَّرْنا تعليم يوحنا المعمدان للجموع حول المعموديّة. هذا لأن المعموديّة من جهة ، كما ذكرنا ، هي معرفة اللّه ، ومن جهة أخرى يرشدنا السابق والصابغ بتعليمه إلى معرفته (أي اللّه) ، دالاً على سيّد الكلّ الذي قبل الدهور ، والذي سوف يدين الأحياء والأموات ، آخذاً المستحقّين إلى المساكن الأزليّة ، ورامياً المُدانين في جهنّم النار. يعلّم المعمدان أن الربّ هو سيّد الملائكة ، في حين أن هو ـ من جهة أخرى ـ يَعتبر نفسه في مصّف العبيد الآخرين.

٢) ـ قلنا إنّ المعموديّة هي معرفة اللّه ، وهي أيضاً وعدٌ بالعودة إلى السلوك الجديد المرضيّ لديه. لذلك يأتي المعمدان لا ليرشد الجموع فقط إلى معرفة المسيح ، بل وأيضاً ليكرز بالتوبة ، ويطلب أثماراً تليق بها ، أعني العدل ، والرحمة ، والإعتدال ، والمحبّة ، والحقّ ، مُظهراً أن الوعد بدون أعمال لا نفعَ له ، بل ويدين الإنسان الذي لا يفي بوعده ، وذلك عندما يتكلّم على الفأس والنار التي لا تنطفىء. كان يقول: «والآن وُضعت الفأسُ على أصل الشجر ، فكلّ شجرة لا تصنع ثمراً جيّداً تُقطع وتُلقى في النار» (متى٣:١٠).

ذكرنا كيف أن المعمدان تحفّظ في تعميد السيّد ، وأوردنا جوابَ الربّ يسوع له ، وأقفلنا الكلام عند سماح المعمدان بتعميد يسوع. لنسمع الآن الأقوال الإنجيليّة التالية:«فلمّا اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء. وإذا السموات قد إنفتحت له فرأى روحَ اللّه نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وإذا صوتٌ من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ» (متى٣:١٦-١٧).

٣) ـ إنّ سرّ معموديّة المسيح لعظيمٌ هو ، وقد عبّرت عنه الآيات المذكورة أعلاه باقتضاب. فلنفحص بقدر المستطاع قوّة هذا السرّ ما دام السيّد يسمح لنا بذلك إذ يقول: «فتّشوا الكتب لأنّكم تظنّون أن لكم فيها حياةً أبديّة» (يو٥:٣٩).

في البدء قال اللّه: «لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا» (تك١:٢٦).

بعد إبداع الجبلة نفخ اللّه فيها روحاً محيياً. في الوقت نفسه كان يُظهر معها ثالوثَ أقانيم الألوهة الخالقة ، المعلنة على جميع المخلوقات ، والتي وُجدت بمجرّد تفوّه اللّه الآب الكلمة. هذا كلّه كان في بدء الخليقة. أمّا الآن فقد أُبدعت أيضاً جبلتنا من جديد في المسيح ، ونزل الروح القدس عليه من السماء بينما كان يعتمد في الأردن ، كاشفاً عن سرّ الثالوث الإلهي المخلّص لجميع المخلوقات.

٤) ـ لماذا يُظهَرَ سرّ الثالوث الأقدس عند جبلة الإنسان وإعادة جبلته ؟ ليس فقط لأنّ الإنسان هو مسارٌ أرضي لهذا السرّ وساجدٌ له ، بل أيضاً **لأنّه وحده (أي الإنسان) جُبِلَ على صورته (أي صورة الثالوث)**.

في الواقع ، الحيوانات غير الناطقة لها فقط روحٌ حيٌّ ، لكنّها تفتقر إلى العقل والنطق. الملائكة ورؤساء الملائكة ، الكائنات العاقلة تتمتّع بالعقل والمنطق ، لكنّها تفتقر إلى الروح المحيي ما دامت لا تملك جسداً يحييه هذا الروح.

الإنسان وحده جُبِل على صورة الطبيعة المثلّثة الأقانيم. إنه يتمتّع بالعقل والنطق وروح الجسد المحيي ما دام يملك جسداً حيّاً على شبه المسيح القائم. بعد أن ظهر الثالوث في لحظة إعادة خلق طبيعتنا في الأردن نموذجاً لصورة نفسنا ، أخذ الناس يعتمدون بالتغطيس ثلاث مرّات ، في حين أن يوحنا المعمدان كان يعمِّد بالتغطيس مرّة واحدة. لذا قال متّى: «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء».

٥) ـ «وإذا السموات قد انفتحت له» أي قبل أن يخرج كلّياً من الماء ، بل عند صعوده منه فقط. لاحظوا جيّداً أيّها الإخوة **سرّ المعموديّة في المسيح**: إن نزول المسيح في المياه ووجوده (أي المسيح) مغموراً به (تحت الماء) حين اعتماده ، يسبق ويشير إلى نزوله إلى الجحيم.

٦) ـ إذاً ، بعد صعوده من الماء انفتحت السموات للحال ، هذا لأن نزوله إلى الجحيم من أجلنا صار تحت الثرى ، وعندما عاد من هناك فتح لنفسه كلّ شيء ، لا فقط ما تحت الأرض وما على الأرض ، بل السماءَ العليا نفسها ، التي عندما صَعِدَ إليها بالجسد «دخلها كسابق لأجلنا» (عب٦:٢٠).

أي كما سبَق ورسم آلامه الخلاصيّة عن طريق الخبز السرّي والكأس ، ثم أعطى ذلك السرّ للمؤمنين لكي يتمّوه من أجل الخلاص (راجع متى ٢٦:٢٩؛ لو٢٢:١٤-٢٠) ، هكذا أيضاً سَبَقَ ورسَم نزوله إلى الجحيم وصعوده منه عن طريق معموديّته تلك ، ومن ثمّ أعطى ذلك السرّ للمؤمنين لكي يتمّوه من أجل الخلاص.

أسنَد إلى نفسه الأوجاع الصعبة ، إلينا شركة آلامه ، وهذا منذ البداءة عن طريق الوسائل غير الأليمة ، وهكذا جعلنا، حسب الرسول بولس ، «متّحدين بشبه موته لكي نؤهّل في الوقت المناسب لكي نصير متّحدين بقيامته» (راجع رو٦:٥).

٧) ـ لقد إتّخذ مثلنا ومن أجلنا جسداً: عن طريق الجسد كابد الموت والدفن من أجلنا ، وبقيامته من القبر أظهر قوّة القيامة في جسده الخاص ، وأعطانا أن نتمّم الذبيحة غير الدمويّة تذكاراً لآلامه ومنها نقطف ثمارَ الخلاص. وعن طريق النفس نزل إلى الجحيم وعاد منه ، مانحاً للكلّ نوراً أزليّاً ، وحياةً ، وأعطانا أن نتمّم المعموديّة الإلهيّة ومنها نقطف ثمار الخلاص أيضاً.

الثمار الخلاصيّة إذاً تنبع من السرَّيْن بالنفس والجسد الحاويين بذور الحياة الأبديّة. في الواقع بهذين السرَّيْن يتعلّق خلاصنا كلّه ما دام تدبير الإله ـ الإنسان يتلخّص بهما.

٨) ـ «وإذا السموات قد إنفتحت له».

لم يقل السماء بل قال: «السموات» ، أي كلّ ما هو فوق ، حتى لا يعتقد أحد أن هناك شيئاً باقياً يعلوه. عليك إذاً أن تعرف أن هناك طبيعة واحدة ، وسيادةً واحدة تأتي ممّا فوق السموات وممّا حولها ، وتصل إلى حدودنا الخاصّة ، أي تملأ كلّ شيء ، وتضبط كلّ شيء ، وتُعرف بطريقة غير مدركة بأقانيم ثلاثة متّفقة.

«انفتحت له السموات» هذا يعني أنه جاء من حيث هي وقبل أن تكون هي ، لا بل كان قبل الكائنات هو إلى اللّه ، وهو اللّه ، اللّه الكلمة والإبن ، لا يأتي حتى الآب قبله. واسمه مع الآب يفوق كلَّ اسم (في٢:٩) وفوق كلّ قول. إذ لمّا انفتحت السموات ، أو «انشقّت» حسب تعبير مرقس (١:١٠) ، برز المسيح وحده مع الآب والروح ما دام كان معهما حتى قبل إبداع الكائنات.

٩) ـ **«إنفتحت له السموات»** ، وكما يقول مرقس الإنجيليّ «انشقّت»: «وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقّت» (مر١:١٠). كيف يقول الواحد «انفتحت» والآخر «انشقّت» ؟ لنتذكّر أن معنى السرّ مزدوجٌ. عندما يقول انفتحت ، هذا يعني أنها كانت مقفلةً قبلاً بسبب الخطيئة ومعصية آدم ، إذ كُتب أن السماء قد أُغلقت أمام آدم لمّا عصى الوصيّة الإلهيّة. فسمع من اللّه «إنّك تراب وإلى التراب تعود» (تك٣:١٩). إذاً انفتحت السموات للمسيح عن حقّ ، إذ ظهر مطيعاً في كلّ شيء ، وكما قال للمعمدان (متى٣:١٥) قد أتمّ كلّ برّ والآن أيضاً عن طريق المعموديّة.

١٠) ـ وكما يقول يوحنا السابق نفسه: «ليس بكيل يُعطي اللّه الروح. الآب يحبّ الإبن وقد دفع كلّ شيء في يده» (يو٣: ٣٤-٣٥). يبدو أن المسيح بالجسد قد أخذ قوّة الروح وطاقتَه كلّها بلا قياس . لذا أظهرت السموات أنّ قوّة الروح الإلهي لا تسعها السموات هذه مع كل المخلوقات. فقد ظهرت القوّة هذه ونزلت على الجسد الإقنومي الإلهي ، فلم تسعها السموات لذا انشقّت. فقد صدق القول: «السموات غيرُ نقيّة في عينيه» (أيوب ١٥:١٥).

بكلمة «السموات» يعني الملائكة في السماء ، ورؤساء الملائكة ، والشيروبيم الكثيري الأعين ، والسيرافيم ذوي الستة الأجنحة. إذاً عن حق يقول: «إن السموات ، أي الملائكة ، غيرُ نقيّة أمام إله السموات ، إذ رغم إستنارتها من السيادة العلويّة تبقى منقوصةً من الطهارة الكاملة. فقط طبيعتنا في المسيح تحوي الطهارة الكاملة ، أعني قوّة الروح الإلهيّ وطاقتَه. لذا لم تنفتح السموات فحسب ، بل والملائكة نفسهم تراجعوا أمام مثل هذا النزول للروح الإلهيّ.

١١) ـ «فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له» (متى ٣:١٦). يقول لوقا: السموات كانت قد انفتحت عندما كان المسيح يصلّي: «ولمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت» (لوقا ٣:٢١)، في الواقع كان يصلّي في النزول والصعود وحين المعموديّة ، معلّماً إيّانا أن ليس فقط على كاهن مقيم الأسرار أن يصلّي ، بل على متلقّي السرّ أن يصلّي هو أيضاً. وإن حدث أن كان هذا الأخير أسبَق من الكاهن في عمل الفضيلة ، ويتلو الصلاة باستمرار ، عندها لا مانع أن يُرسل ، متقبّل السرّ ، نعمةً إلى مقيم الأسرار. هذا ما حصل مع المسيح متقبّل الرحمة (يا لعظم محبّته الفائقة الوصف) الذي منح نعمته للمعمدان خادم السرّ. وقد شهد يوحنّا على ذلك بقوله: «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا» (يو١:١٦).

١٢) ـ لماذا فُتحت السموات ليسوع فقط عندما كان يصلّي وليس ليوحنا المعمدان؟ مع أن هذا الأخير فهم تدبير اللّه في الجسد لكلمة اللّه وهو بعدُ جنين ، ولم يرتكض فقط ويبتهج بالروح القدس في بطن أمّه ، بل ومنحها نعمةً (راجع لو ١:٤١) ، وهو الذي فكّ رباط لسان أبيه بعد أن رُبط بأمر من الملاك (لو١:٦٤) ، وهو المتربّي في البراري ، الأفضل في موالِيد النساء ؛ ومع ذلك كلّه لا يستطيع أن يحلّ سير حذائه ولم يستحق أن تُفتح له السماء بل السموات (أي للمسيح)؟

هذا كلّه لأن المعتمد في الجسد يسمو على الكلّ. لذلك قيل: «انفتحت له السموات» وليس فقط السموات بل وأيضاً حضن الآب العلي، لأنّه من هناك جاء الروح القدس والصوت الذي شهد لبنوّته الإلهيّة: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (متى٣: ١٧). ولدى انفتاح السماوات كمثل أفواه عالميّة ، جاهرت ليس للملائكة فقط ، بل وأيضاً للناس على الأرض ، وللكون بأسره ، بمساواة ابن اللّه للآب السماوي وللروح المنبثق من الآب بحسب الجوهر والقوّة والسيادة.

١٣) ـ إذاً انفتحت له السموات عن حقّ . هذا أيضاً لأن الكتاب المختوم الذي يُشير ربّما إلى السماء المغلقة قبلاً. بحسب رؤيا

يوحنا ، لم يقدر أحدٌ على الأرض أن يفكّه ويقرأه « هوذا قد غلب الأسد من سبط يهوذا أصلُ داود ليفتح السفر ويفكّ ختومه السبعة» (رؤيا ٥:٤)، من هو الأسد من سبط يهوذا؟ يعلّمنا يعقوب أبو الآباء قائلاً: «يهوذا شبل أسد من الإفتراس صعدتَ يا بنيّ جثم وربض كالأسد واللبؤة فمن ذا يقيمه؟» (تك٤٩:٩). أي هو الذي فتح الآن علانيّةً السموات كلّها ، العارف منذ الأزل التدبير الإلهي وذخائر الحكمة في الحضن الأبوي الخفيّة وأعماق أسرار الروح التي لا تفسّر.

١٤) ـ «فلما اعتمد يسوع صَعِدَ للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له» (متى٣:١٦).

ألاحظت كيف أن المعموديّة المقدّسة هي باب السموات ، منها يدخل المعتمدون إلى السماء؟ لم يقل فقط «انفتحت» بل قال «انفتحت له السموات» . كلّ ما جرى هو إذاً لأجلنا وهي تنتظر دخولنا إليها. وقد شهد بذلك **أوّل الشهداء إستفانوس**: ركع وصلّى وشخص إلى السماء ، ورأى ما لم يرَه أحدٌ قبل معموديّة المسيح ، فقال: «ها أنا أنظر السموات مفتوحةً وابن الإنسان قائماً عن يمين اللّه» (أع٧:٥٦) ، لم يرَ فقط المجد غير الموصوف والمقرّ السماوي ، بل وأيضاً المجدَ المشوق إليه مجد الآب. رأى ما لم يرَه أحدٌ قبل المسيح ، المجد الذي تشتهي الملائكة أن تطلّع عليه (١بطر١:١٢). لقد جذبه يسوع المشتهى ، ورغب في أن يكون الخادم الأوّل في السموات ، الأسمى من الأرواح الخادمة كونه صار أوّل شهيد للحقيقة.

إذاً لنا انفتحت السموات ، لأنّ المسيح لم يحتَج إلى نقاوة ولا إلى انفتاح للسماء.

١٥) ـ إذاً ، رأى يوحنا المعمدان الروحَ نازلاً مثل حمامة ومستقراً عليه ، لذا يستطيع أن يقول لسائليه «وأنا رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن اللّه» (يو١:٣٢-٣٤). كما أن الحمامة تشهد على نقاوة ذاك الذي نزلت عليه ، لأن مثل هذا الحيوان الطائر لا يحطّ على أماكن دنسة. يؤكّد على ما سَبَقَ صوتُ الآب من فوق: «وإذا صوتٌ من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ» (متى ٣:١٧). في الواقع يستخدم الآب بمثابة الإصبع روحَه المساوي له في الجوهر والفائق السموات ، دالاً وصارخاً علانيّة أنّ المعمّد في الأردن من يوحنا المعمدان هو ابنه الحبيب.

١٦) ـ لم يظهر الروح كإصبع أبويّ ، بل نزل أيضاً حتى أتى على يسوع واستقرّ عليه. يقول: «وشهد يوحنا (المعمدان) قائلاً إنّي قد رأيتُ الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقرّ عليه» (يو١:٣٢) ،وليس فقط هذا (يوحنا الإنجيلي شهد هو أيضاً أن) «من ملئه نحن جميعاً أخذنا» (يو١:١٦) ، بل وقبل النزول كان الروح فيه غيرَ منظور. هذا ما يشهد عليه الملائكة السماويّون غير المتجسّمين. الواحد قال للمرأة التي حبلت به وهي عذراء: «الروح القدس يحلّ عليك» (لوقا ١:٣٥) ، والآخر إلى يوسف: «لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك لأن الذي وُلد منها هو من الروح القدس» (متى١:٢٠).

كلّ هذا لا يظهر كسلسلة متواصلة ، بل كعناصر منسجمة فائقة الطبيعة: إله مثلّث الألوهة ، كلّي القدرة يظهر كما شاء هو: آب يفوق السموات ، ابنٌ مساوٍ له في الجوهر ، روحٌ قدس منبثق من الآب ومستريحُ في الإبن. وَحْدَةٌ غير ممتزجة وغير منفصلة ، إثنان يشهدان والثالث مشهودٌ له. يشهدون لألوهيّتهم ، لإنسجامهم ولمايزتهم. ألوهتهم تأتي من السلطة الفوقيّة التي بموجبها انفتحت السموات ، انسجامهم بالتواصل بينهم ، وتمايزهم بتنوّعهم وأسمائهم المختلفة ...

١٩) ـ عندما قال الآب من فوق عن المعتمد: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ» (متى٣:١٧) ، أظهر أن كلّما قاله سابقاً الأنبياء: الوصايا ، الوعود ، البنوّة ، كلّها كانت ناقصة ، كونها تشير وتتطلّع إلى الحدث الحاضر لتتحقّق وتكتمل في المسيح المعتمد. إبداع العالم نفسه كان يتطلّع إلى ابن الإنسان هذا المعتمد والمشهود له من اللّه الآب ابناً حبيباً الذي به ومن أجله كان كلّ شيء.

٢٠) ـ خُلِقَ الإنسان على صورة اللّه حتى يستطيع وقتاً ما أن يحوي الأصلَ. والوصيّة لهذا الهدف أُعطيت في الفردوس ، لأنّها تحقّقت أخيراً في المسيح. كلّ ما في العالم وما يفوق العالم من كائنات ملائكيّة أُبدعَت من البدء لهذا الهدف ، أي من أجل تدبير اللّه في الجسد والذي خَدَمَتَه الطغمات الملائكيّة كلّها.

المسيح كان الوحيد الذي أرضى اللّه الآب: «مشيراً عجيباً» (أش ٩:٦) **يمنح الذين يؤمنون به حياةً أبديّة**.

٢١) ـ عَسَى أن نحظى بها عن طريق المسيح ملك الدهور الذي يليق له المجد والكرامة والسجود مع أبيه غير المبدوء والروح القدس الصالح والمحيي الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين. فليكن.

عظمة العذراء والدة الإله
للقديس باسيليوس الكبير

إن كان اللّه غمر عبيده الأخصّاء بالنعم والبركات ، فكم تكون النعم التي أسبغها على الأم العذراء ، هي بالأكيد أعظم وإسمى. وإذ كان يوسف دعي بالمغبوط ألا تكون مغبوطة تلك التي ولدت يسوع الذي إعترف به بطرس نفسه ربّاً وإلهاً. وإذا كان بولس دُعي الإناء المختار لأنّه حمل إسم المسيح إلى كلّ الأرض ، فأي كأس تكون هذه التي حملت اللّه. أيّتها العذراء الفائقة القداسة ، كلّ الألقاب والتماجيد التي أضيفها عليك لا تكفي ولا تعبّر عن شيء يليق بك.

قيل عن **القديس بوليكربس**(أسقف سَميرنا) في إحتماله للعذاب عندما أعدّوا له أتون نار وأرادوا أن يسمّروه على خشبة حتى لا يهرب من شدّة العذاب ولكنّه قال في شجاعة: إتركوني هكذا فإنّ الذي وهبني قوّة لكي أحتمل شدّة حريق النار يجعلني أيضاً أن **أَلْبَـثَ** فيها بهدوء دون الحاجة إلى مساميركم.

✚ ـ «...أنا عارف أعمالك وأين تسكن ، حيثُ كرسيُّ الشيطان. وأنت متمسّك بإسمي ولم تنكر إيماني ...» (رؤ٢:١٣).عندما دخل الأسقف ملاك هذه الكنيسة الضيّقة ، ذات المحكّ القوي. ظَهَرَ إنّه متمسّك بإسم ربّنا يسوع المسيح ، ولم يُنكر إيمانه ، فالضيقات والصليب مثل النّار تكشف عنصر المعادن.

مكافأة الغالبين:

١) ـ **ملاك كنيسة أفسس:** ..مَن يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس اَللّه. (رؤ ٢:٧).

٢) ـ **ملاك كنيسة سميرنا:** ..مَن يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني. (رؤ ٢:١١).

٣) ـ **ملاك كنيسة برغامس:** ..مَن يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفي وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة إسم جديد مكتوب ، لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ. (رؤ ٢:١٧).

٤) ـ **ملاك كنيسة ثياترا:** ..مَن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم. فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي وأعطيه كوكب الصبح. (رؤ ٢:٢٦ـ٢٨).

٥) ـ **ملاك كنيسة ساردس:** ..مَن يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو إسمه من سفر الحياة وسأعترف بإسمه أمام أبي وأمام ملائكته . (رؤ ٣:٥).

٦) ـ **ملاك كنيسة فيلادلفيا:** ..مَن يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يعود يخرج إلى خارج. وأكتب عليه إسم إلهي وإسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي وإسمي الجديد. (رؤ ٣:١٢).

٧) ـ **ملاك كنيسة لاوديكية:** ..مَن يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه. (رؤ ٣:٢١).

✚ ـ «وأجاب واحدٌ من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَن هُم ؟ ومن أين أتوا * فقلتُ له يا سيّد أنت تعلم. فقال لي هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة. وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم في دم الخروف. * من أجل ذلك هم أمام عرش اللّه. ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله. والجالس على العرش يحلُّ فوقهم * لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد. ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحرّ. * لأنّ الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة ويمسح اللّه كلّ دمعة من عيونهم» (رؤ٧:١٣ـ١٧).

✚ ـ «وهم يترنّمون كترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ ولم يستطع أحد أن يتعلّم الترنيمة إلاّ المئة والأربعة والأربعون ألفاً الذين اشتروا من الأرض * هؤلاء هم الذين لم يتنجّسوا مع النساء لأنّهم أطهار هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة للّه وللخروف * وفي أفواههم لم يوجد غشّ. لأنّهم بلا عيب قدّام عرش اللّه» (رؤ١٤ :٣–٥).

✚ ـ «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حُكماً. ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة اللّه والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم. فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة» (رؤ٢٠:٤).

✚ ـ «مبارك ومقدّس مَن له نصيب في القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثاني سلطانٌ عليهم بل سيكونون كهنة للّه والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة » (رؤ٢:٦).

✚ ـ «من يغلب يرث كلّ شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي إبناً» (رؤ٢١:٧).

✚ ـ «ولا تكون لعنة ما في ما بعد وعرش اللّه والخروف يكون فيها. وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس. لأن الرب الإله يُنير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ٢٢:٣–٥).

✚ ـ «طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة» (رؤ٢٢:١٤).

يتبع في العدد القادم

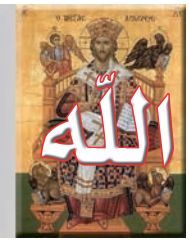

ما هو الخير الأعظم في الحياة؟

أنتوني م. كونياريس

نستمرّ في حديثنا مركّزين على كلمة «**للخير**». «إنّ اللّه يعمل للخير لأولئك الذين يحبّونه» .

إنّ السؤال الأكبر هنا هو مَنْ الذي يستطيع أن يحدِّد أو يُعرِّف لنا ما هو الخير.

تحكي قصّة أسطوريّة قديمة أن صبيَّين كانا يجلسان تحت شجرة جوز، فقال أحدهما: « لو كنت أنا الذي خلقتُ العالم ، لوضعتُ البطيخ الثقيل على الأشجار الكبيرة ، والجوز والبندق على فروع الكروم المتعرّشة المتسلّقة ، وليس كما هو حادث الآن أنَّ ثمار البطيخ الكبيرة تشتبك بفروع رفيعة ، بينما ثمار الجوز تحملها الأشجار الكبيرة. ثمّ نام الصبيّ تحت شجرة الجوز ، ولكنه استيقظ فجأة بسبب ثمرة جوز سقطت وضربته على أنفه ، وبعد أن توقّف نزيف الدم من أنفه قال: شكراً للّه ، إنّني سعيد جداً أنّه لم يضع ثمار البطيخ على الأشجار ، حقّاً إنّه هو الذي يعلم أفضل».

حتماً يعرف اللّه ما هو الأفضل ، لذلك فعلينا أن نتوجَّه إليه لكي يدلنا على إجابة هذا السؤال الكليّ الأهميّة: ما هو الخير الأعظم في الحياة ؟.

المحبّة :

أولاً، يلزم أن نقول بالتأكيد إن الخير الأعظم هو **المحبّة**. المحبّة هي محور الوجود ، كما يقول الرسول يوحنا: «**اللّه محبة**» (١يو ٤:٨،١٦). إنّ الشخص الذي يحب يشترك في كيان اللّه الحقيقي ، والذي يكره لا يحب اللّه ، والوصيّة الأولى والعُظمى في المسيحيّة هي أن تحب اللّه من كلّ الكيان ، وأن تحب قريبك كنفسك.

يقول القديس ديمتري من روستوف «لا إتحاد يمكن أن يكون مع اللّه إلاّ بالمحبة العظيمة جداً، وهذا يمكن أن نراه من قصة المرأة الخاطئة المذكورة في الإنجيل ، إذ أن اللّه في رحمته العظيمة مَنَحَها غفران خطاياها واتحاداً قلبيّاً حميماً بها ، لأنّها أحبت كثيرا (لو٧:٤٧). إنّ اللّه يحب أولئك الذين يحبّونة ، ويلتصق بأولئك الذين يلتصقون به، إنه يهب نفسه لأولئك الذين يبحثون عنه ، ويمنح بسخاء ملء الفرح لأولئك الذين يرغبون أن يسعدوا بحبّه».

تساءل أب ذات مرّة: «كيف أعدُّ ابني جيداً لما يخبّئه المستقبل له من مفاجآت؟ ماذا أعمل؟».

فأجابه صديق مسيحي: «أحبب الولد وعلّمه أن يحبّ الآخرين، أن يحبّ اللّه أكثر من أي شيء ، أكثر من المال ، والملذات ، أو أي مجرى حياة ناجح ، وفي نفس الوقت دعه يرى محبة اللّه هذه في حياتك الشخصيّة كأب له. فإن عاش هكذا في المستقبل مع اللّه ، فإنّني أظن أن كلّ شيء سوف يكون على ما يرام. أليس كذلك؟».

أجاب الأب: «حقّاً ، يمكنه إن سار مع اللّه أن يعيش في أي مستقبل». فالخير الأعظم هو المحبّة ، محبّة اللّه ومحبّة القريب.

الروح القدس :

ثانياً ، يقول يسوع: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيّدة ، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه!» (لو١١:١٣).إنّنا نحن البشَر نعرف أن نعطي عطايا صالحة لأولادنا ، ولكن الأعظم من الكل في العطاء هو اللّه ، وأعظم وصيّة يمكنه أن يعطيها لنا ليست الصحة ولا الثروة ولكن **الروح القدس** ، لأنّنا إذ نمتلىء من الروح القدس فنحن إنما نمتلىء بالذي هو الصلاح الأسمى. إن كنتَ تشكّ لحظة أن الروح القدس هو الخير الأعظم ، أنصت إلى القديس بولس وهو يتكلّم عن ثمر الروح: «أما ثمر الروح فهو: محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفّف (ضبط النفس) ..» (غل٥:٢٢).

إنّ **القديس صاروفيم** الذي من صاروف يصف هدف الحياة المسيحيّة ويقول: إنها ليست أكثر من إقتناء الروح القدس. فيقول: ﴿ الصلاة ، الصوم ، السهر ، وجميع الأعمال المسيحيّة الأخرى مهما كانت جيّدة في ذاتها ، بالتأكيد لا تشكّل هدف الحياة المسيحيّة. إن هذه الأشياء وسائط أساسيّة يمكن الإستعانة بها لبلوغ الهدف ، لأن الهدف الحقيقي للحياة المسيحيّة هو إقتناء روح اللّه القدّوس ، أمّا بالنسبة للأصوام والأسهار والصلوات والإحسان إلى الفقراء والأعمال الأخرى الصالحة التي تُعمل بإسم المسيح ، إنما هي وسائط فقط لنوال روح اللّه القدوس ... إنّ الصلاة ممكنة لكل إنسان ، غني أو فقير ، قوي أو ضعيف ، شريف أو بسيط ، صحيح أو مريض ، خاطىء أو شرّير ، عظيمة هي قوّة الصلاة. وهي أكثر من الكل تجلب روح اللّه ، وهي الأسهل من كلّ الوسائط الأخرى لنمارسها ونتدرَّب عليها﴾.

يُقال إنّ القديس صاروفيم في كلماته السابقة يجمع كل التقليد الروحي للكنيسة الأرثوذكسيّة ، لأنّه ، ما أعظم إقتناء الروح القدس! وما أسهل الواسطة التي يمكننا عن طريقها أن يأتينا: الصلاة !

بالإضافة إلى المحبّة والروح القدس ، فإنّنا نأتي إلى **وجهٍ ثالث** للخير الأعظم في الحياة.

الخلاص :

من وجهة نظر مسيحيّة ، فإنّه توجد كلمة أخرى تُعبِّر عن الخير الأعظم ، ألا وهي كلمة الخلاص ، فإنه لا يوجد شيء يمكن أن يجعلنا نحزن سوى ما يهدّد خلاصنا ، وقد قال **القديس يوحنا الذهبي الفم**: إنّه بخصوص الخلائق المقدَّر لها الإتجاه نحو الأبديّة ، فإن الحزن الممكن أن نقبله هو إن كان بسبب فقداننا السعادة الأبديّة من خلال الخطية ، وهذا هو السبب الذي يجعل الأبديّة

ضروريّة جداً. التوبة هي الإنتحاب ، البكاء ، الصراخ لأجل الخلاص المفقود ، إنها طريق عودة الإبن الضّال إلى أبيه. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: ﴿**يوجد شيء واحد نخجل منه ، إنّه الخطيّة**﴾. الخطيّة هي التي تفصلنا عن الخير الأعظم والأهم ، ألا وهو اللّه وخطته الرائعة للخلاص.

أن تعرف اللّه :

ما هو الخير الأعظم؟ إنه المحبّة ، الروح القدس ، الخلاص. كما يوجد **وجه رابع** هو أن **تعرف اللّه** الذي هو نفسه الخير الأعظم ، وأن يكون لك علاقة حميمة شخصيّة عن قرب معه من خلال الصلاة ، الإفخارستيّا ، وكلمة اللّه.

عند إقتراب ختام سفر أيوب ، فإنّنا نرى أن أيوب قد أخذ تدريجاً في أن يفهم أن نكبته العظيمة ليست هي فقدانه لأسرته أو ممتلكاته أو صحته ، ولكن هي فقدانه لشعوره برفقة اللّه ، ويظهر فجأة اللّه شخصيّاً في الإصحاحات الأخيرة (أيوب ٣٨:١-٧) ومن ثمَّ فإن شكاوي أيوب وأسئلته المرّة تنتهي فوراً (أيوب٤٢:١-٦) ، ويتحقّق أيوب أن حياته كلها كانت تتضمّن معرفة اللّه عن طريق التقوّلات ، أما الآن فلأوّل مرّة يعرفه شخصيّاً عن إختبار ومع أن العبارة الأخيرة في سفر أيوب تتكلّم عن عودة ممتلكات أيوب ، إلا أن هذا في الحقيقة غير متصل بالموضوع ، لأن أيوب قد تعلّم أن الخير الأعظم في الوجود البشري ليس الصحة ولا الثروة ، ولكن المعرفة الشخصيّة للّه. ونفس هذا الفكر يعبِّر عنه **إرميا النبي** في قوله: «هكذا قال الرب: لا يفتخرن الحكيم بحكمته ، ولا يفتخر الجبّار بجبروته ، ولا يفتخر الغني بغناه ، بل بهذا ليفتخر المفتخر بأنّه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض ، لأنّي بهذا أسرّ يقول الرب» (إر ٩:٢٣-٢٤).

أمّـا يعبّر **القديس يوحنا الرسول** عن نفس الفكر عندما يكتب: «هذه هي الحياة الأبديّة (وكان يمكنه أن يقول بالمثل: هذا هو الخير الأعظم) أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحده ، ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو١٧:٣).

أن نصنع مشيئة اللّه :

ما هو الخير الأعظم؟ إنّه **المحبة ، الروح القدس ، الخلاص ، معرفة اللّه**. كما أنّ يسوع قد عرَّف الخير الأعظم بمصطلحات وشروط إتمام إرادة اللّه. إن هدف وغاية الحياة ليس هو أن تصير **سعيداً ، أو تبلغ اللذة وتتجنّب الألم** ، ولكن هدف وغاية الحياة هو أن **تفعل مشيئة اللّه** في كل شيء وما يجب أن تتمِّمَه. يقول يسوع: «ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يصنع مشيئة أبي الذي في السموات» (مت٧:٢١)، «طوبى لأولئك الذين يسمعون كلام اللّه ويحفظونه» (لو١١:٢) ، «لأنّ مَن يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (مت١٢:٥٠) ، فالخير الأعظم إذن في كتاب اللّه هو أن تصنع مشيئة اللّه المقدسة. «ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص» (يو٣:٣٠).

صلاة

يا رب ، إن كنتُ أكدُّ وأعمل في حياتي ، فدَع عملي يكون لأجل ما هو حقّاً الخَير الأعظم: المحبة ، الروح القدس ، الخلاص ، أن أعرفك وأن أصنع مشيئتك في كلّ الأشياء. لا تدعني أقف يوماً أمامك وأجد أنّني قد أضعت حياتي وأنا أعمل وأبحث وراء التوافه ، لأن هذه ستؤدِّي إلى الجحيم. ساعدني على الدوام لأبحث باستمرار عمَّا هو أعظم وأفضل.

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء - باب حزقيال (١٣)

«ثمَّ أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتّجه للشرق وهو مغلق. فقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان ، لأنّ الربّ إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز٤٤:١-٢).

الباب ... هو العذراء مريم ، دخل منها وخرج الرب إله إسرائيل دون أن تنقص بكوريّتها. وهذا ردٌّ على الذين يشهّرون قصداً ، على أنّ السيّدة العذراء أنجبت من يوسف النجّار بعد ميلادها الربّ يسوع.

يقول **القديس جيروم**: «دعوهم يخبرونني كيف دخل يسوع والأبواب مغلقة؟ وأنا أُجيبهم كيف تكون القديسة مريم أمّاً وعذراء بعد ميلاد إبنها ، وكيف تكون أمّاً بغير زواج!».

يقول **أحد الآباء القديسين**: «اليوم يا أحبّائي كملت نبوّات الأنبياء في قول الربّ من البتول مريم .. حزقيال النبي يعلّمنا سرٌّ عجيب قائلاً: إنّي رأيت في المشارق باباً مغلقاً؟ مختوماً بختم عجيب .. لم يدخله أحد غير ربّ القوّات فإنّه دخل وخرج ولم يفتح الباب ولا تغيّر الخاتم. وهذا سرّ نبوّته على الميلاد البتولي من الطاهرة مريم من غير زرع بشر. وهكذا فأن المولود منها هو ربّ القوّات ، ولهذا حفظ بتوليّتها في تجسّده وفي ولادته منها ؛ وبعد ولادته أيضاً لأنّ له الإستطاعة في كلّ شيء».

هذه العظة من الأرشيف القديم ، لأحد الوعاظ الكبار قيلت قبل مئة سنة تقريبا

كل نفس في الوجود تشتهي السعادة ،ولكن مَن يحصل عليها ؟ وأين نجدها ؟. من أين تأتي السعادة والإنسان في الحياة في ساحة حرب يصارعه فيها مئات من الرغائب والأميال. وأمامه حاجات كثيرة ، يجري وراء الحصول عليها وهو لذلك في قلق دائم ونزاع مستمرّ. ألقوا بنظرة إلى العالم تروا ملاحم عديدة وحروباً متواصلة بين الإنسان ونفسه ، وبينه وبين أخيه. فهوذا الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر ولا يتأتّى الإتفاق بينهما يوماً من الأيام ، فكيف يجد الإنسان سعادته وسط هذه الحرب.

الإنسان في جهاد مستمر للوصول إلى أمانيه. ولم تَخلُ نفس من أمنية حتى تصارعها حتى المنيّة. المريض يتمنّى الشفاء ومتى ناله طلب القوّة. ومتى حصل على القوّة زاحَمَ على الحياة لينال مركزاً ، ومتى حصلَ عليه لا يقنع.

الفقير يطلب الغنى ، والغنيّ يسعى وراء المجد. وصاحب المجد يَجِدَّ وراء السيطرة والسؤدَدْ. وهكذا ترى أفكار الإنسان تشبه سلسلة دقيقة الرأس ضخمة الطرف تتدرّج عليها الأماني من صغيرها إلى كبيرها. وكلّ حيّ مشابه غيره في هذه الأماني. ذلك لأنّ عواطف البشر وأميالهم غير محدودة ولا تقف الرغائب عند حدّ. ولا يوجد شيء في العالم يُقنع الإنسان ويُشبع أطماعه. وقد قيل أنّ **الإسكندر الأكبر** بكى لمّا لم يجد أمامه بلاداً يفتحها بعد أن استولى على معظم ممالك العالم.

عندما نتأمّل في هذه الحالة نتصوّر أن السعادة بعيدة عن الإنسان في هذه الحياة وأن الشقاء نصيبه والجهاد ملازمه.

ما فائدة البحث في السعادة ووسائلها طالما الإنسان على هذه الحال كما تقدّم ؟

والجواب على ذلك أنّ الإنسان بشهادة الكتاب مَيّالٌ للشرّ من منذ صباه، لا يريد قانوناً يحكم أمياله الزائغة، يُودّ لو يَفعل كلّ شيء حسب هواه ، ولكن لماذا وُضعت له الشرائع الإلهيّة والمدنيّة والأدبيّة ؟ أليست لتلطيف حالته وكبح جماحه وحفظ مركزه من الزيغان. فإن لم يتمكّن الإنسان من الوصول إلى السعادة التّامة، فعلى الأقل يستطيع أن يصل إلى شاطئها، وإن لم يقدر أن يدخل هيكلها فيقدر أن يقف على أبوابها ويعرف طريقها ليرسم لذاته طريقاً ويقدر أن يقف إزاء تيّارات العالم الهائجة لئلا تبتلعه أمواجه المتلاطمة.

وإذا تأملنا قليلاً نرى أن الإنسان خُلِقَ على صورة اللّه وأنّ غايته السعادة. فهل يا تُرى خُلِقَ الإنسانَ ليكون بعيداً عن غايته يقضي أيامه في شقاء مستمر منَ المهد إلى اللحد؟.

لا نستطيع أن نُسَلِّم بذلك ولا يقدر أحد أن يقول أن ذلك الإله الحكيم الرؤوف الحنون الذي خلقه على صورته يقضي عليه بأن تكون حياته هكذا شقيّة. ربما يقول قائل أنّ اللّه قضى بأن تكون سعادة الإنسان في الآخرة. فأقول أن موضوع كلامي هو عن سعادة هذه الحياة.

يقول سليمان الحكيم: «اللّه خلق الإنسان مستقيماً أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة» (سفر الجامعة٧:٢٩). هذا هو الحلّ لهذا الإشْكال، فاللّه تعالى خلقَ الإنسان على صورته في حالة البرارة والطهارة ووهبه السلطة على كلّ الكائنات ووضع له نواميس إن أطاعها أثابه بالحياة والسعادة. وإن خالفها عاقَبَه بالموت والشقاء ، والإنسان حرٌّ مُريدٌ مُختار فإذا حَفظَ مركزه ضمْنَ حدود هذه الشرائع فهو آمنٌ هادىء. ولكن بخروجه عن حدودها لا يلاقي **إلاّ** التعب والبلاء. وبهذا الإعتبار يمكنا أن نقول أن كل إنسان يستطيع أن يكون قريباً من السعادة إن أراد.

لا يمكن تحديد السعادة لإختلاف ميول الناس ورغائبهم ، فما يجد الواحد فيه سعادته يرى فيه غيره شقاءه. الطمّاع الذي يقضي نهاره وليله في الحصول على المال لا لغاية إلاّ **ليخزنه ويكنزه**. لا يجد لذّته إلاّ في ذلك. كما أن غيره من أصحاب الأموال لا يجد سروره إلاّ في توزيعه. فالبخيل يرى في القناعة شقاءه والقنوع يرى في قناعته سعادته. وكذا قُل عن محب الشهوات وطالب المجد والمفتون بحب الشهرة. وهؤلاء كلهم يجرون وراء آمالهم للحصول على ما تشوّقت إليه نفوسهم. ولو امتلكوا ما كانوا يؤملونه لزهدوا فيه وطلبوا شيئاً آخر. وهكذا ترى حياتهم عُرضة للتقلبات وهدفاً للأتعاب، وهذه كلها سعادات موهومة يجري وراءها الإنسان. ومتى حصل عليها ينتقل منها إلى مطالب أخرى ويفتّش في الزوايا ليبحث عن حاجة تملأ فراغ قلبه. ولكنّنا لا نبحث هنا عن السعادة الموهومة بل نقصد البحث عن حالة إرتياح يمكن ثباتها.

أن أهم ما يتطلّبه الناس للسعادة في هذه الحياة هو **المال ، والمجد الدنيوي ، والعلم ولذّات الجسد**. ولنبحث إن كانت السعادة في واحدة من هذه أم لا.؟

١: هل السعادة في المال

المال قوّة كبرى ولا يُنكر أحدٌ أنّه وسيلة من أعظم الوسائل للراحة في أغلب الأحيان. فهو واسطة لا غاية ، فلا يمكن أن يكون سعادة الإنسان.

قال المسيو أدمون ديمولان: «أما المال فكثيرون يعتبرونه أهم وسيلة والواقع أنه يضمن لصاحبه عيشه اليوميّ ويُسهّل له إجتياز المتاعب الماديّة وليس هذا بيسير. ولكن المال لا يُفيد شيئاً في إجتياز المتاعب الأدبيّة ، فمن شأنه الميل بالهمّة إلى الفتور وإضعاف الإرادة ومن أهم أسباب السعادة: الأمل ، أي رجاء الحصول على المرغوب فإذا ملكت ما رجوت ضاع جزءٌ عظيم من ميلك السابق إليه. والمال لا يجعل للأمل محلاً لأنه يسهّل الحصول فوراً على المراد وذلك يؤدي إلى ضعف لذة الإنتظار ، وهذا هو السبب في أن الأغنياء يطلبون دائماً ملاذّاً جديدة وملاهي غير التي اعتادوها لأنهم سريعوا الشبع من كل أمر في أوّله ، فالمال يُضَيّع الإهتمام بكل شيء ، ومتى ضاع الإهتمام فقَدَ الرجل ذوق سعادة الحياة ذوقاً صحيحاً فلا يحفل بشيء ولا شيء يحمله على الإهتمام».

وكما قال برناردين دي سان بيير « أن الإنسان متى أَلِفَ الملاذ والمسرّات لم تبقَ لها قيمة عنده ولذلك ترى الأغنياء لا يَجِدُون في ملاذّهم من اللّذة نصف ما يجده الفقير في ملاذه منها ، وقد يشمّون ألف وردة ووردة دون أن يهتمّوا بها ، ولكن شوكة واحدة تُبقي أثراً بليغاً في نفوسهم ؛ وبناءً عليه فإن حزن الغني في وسط مسرّاته وملاذّه إنما هو عبارة عن شوكة بين الأزهار. وسرور الفقير وسط أحزانه عبارة عن زهرة بين الأشواك ، ولذلك تؤثّر اللذة في الفقير كلّما كانت ضعيفة أشَدَّ من تأثيرها في الغني، وفضلاً عن هذا فأيّهما أولى للإنسان: أن يكون في خوف دائم مما يحدث دون أن يكون له أمل في شيء مُقبل! ، أم أن يكون لا يخاف شيئاً مما يحدث ولا يملك شيئاً غير الأمل في المستقبل! ، فإنّ الحالة الأولى حالة الغنيّ. والحالة الثانية حالة الفقير. وكلتا الحالتين في رأيي طرفان وما السعادة إلاّ وسطٌ بينهما وهي السعة القليلة والفضيلة».

يشبّه فنلون مَن يُضحّي نفسه في سبيل الثروة والمجد «بمن يركب مركبة زاهية فاخرة رغماً عن علمه ، أنها سترمي به من أعلى هوّة عميقة إلى أسفلها». وهذا يشبه ما قاله **بولس الرسول**: «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة فخٍّ وشهوات كثيرة غبيّة ومضرّة تغرّق الناس في العطب والهلاك لأن محبّة المال أصل لكل الشرور والذي إذ ابتغاه قومٌ ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١تي٦:٩-١٠).

وماذا نالَ من السعادة ذلك الغنيّ المشهور الوارد في الإنجيل الذي قال لنفسه: أهدم مخازني وأبني أخرى غيرها وأجمع فيها خيراتي وأقول لنفسي يا نفسي لَك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة كلي واشربي وافرحي، ولَكنه بينما يقول هذا الكلام إذا بصوت يقول له: يا غبيّ في هذه الليلة تُؤخذ نفسك منك ، فهذا الذي أعددته لمن يكون.

ميداس ملك فريجيّة وتحويلة كلّ شيء إلى ذهب

جاء في الخرافات القديمة عن **ميداس ملك فريجيّة** أنّه سأل الآلهة أن تُحوّل له كلّ ما يلمسه ذهباً ، فأُجيب سؤاله ، فاستحال خبزه ذهباً ، وخمره ذهباً ، وماؤه ذهباً ، وكاد يهلك جوعاً لو لم يندم على ما فرط منه ويسأل الآلهة أن تحرمه هذه المزيّة. فماذا استفاد هذا من الذهب.ما أصدق قول الحكيم: سليمان: «الغنيّ لا يشبع يوجد واحد ولا ثاني له وليس له ابن ولا أخ ولا نهاية لكل تعبه ولا تشبع عينه من الغنى» (جا٤:٨). «مَن يحبّ الفضّة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخلٍ» (جا٥:١٠).

قال جيرار أحد الأغنياء الأمريكيين: «إنّني عبدٌ رقيق ، محاطٌ بالتعب من كل ناحية وقد تمضي ليالٍ كثيرة لا أذوق فيها لذّة الرقاد ، وغرضي الوحيد أن أجهد نفسي بالشغل والتعب النهار كلّه حتى تخور قواي وأستطيع المنام». أليس أنّ فقيراً عاملاً ينام نوم الراحة أسعد حالاً وأهنأ بالاً من هذا الغنيّ.

قصر ناتان روتشيلد

رأى بعضهم قصر ناثان روتشيلد، وكان مثلُ أفخر قصور الملوك ؛ فهنّأه به وقال له لابدّ أن تكون سعيداً فيه. فضحك وقال هيهات. وكان روتشيلد هذا ، الحاكم المُطلق في الأمور الماليّة والسياسيّة ، إذا أراد فَتَحَ خزائنه للملوك ، وإذا أراد أغلقها وأوقع الكلّ في حيرة وارتباك.

ما أكثر الأغنياء الذين يحسدون الفقراء على نومهم وطعامهم إذ لا يستطيعون أن يتلذّذوا بلقمة ويجدوا راحة في رقادهم.

قال كرنجي المثري الشهير: «لا أقدر الآن أن أصف مقدار الفرح الذي شملني حينما قبضت أجرة الأسبوع الأوّل (وكان يشتغل في لفّ القطن على البَكَرْ ، ويأخذ ثلاثين غرشاً في الأسبوع) وقد مرّ في يديّ ملايين من الريالات بعد ذلك، وإذا اعتبرنا المال سبباً للسرور فالريال الذي قبضته في الأسبوع الأوّل قد سرّني أكثر من كلّ الملايين التي قبضتها بعده ، وكثيراً ما يشكو الناس من الفقر ويعدّونه آفة عظيمة. وكأنّهم يحسبون الغنى مصدر الراحة والسعادة ويودّون أن يغتنموا ليتمتّعوا بأطايب الحياة وينفعوا أبناء نوعهم. ولكني أؤكّد لهم أنّ في أكواخ الفقراء من الراحة والسعادة والنفع ، أكثر مما في قصور الأغنياء، وأني لأشفق على أولاد الأغنياء الذين يحيط بهم الخدم والحشم ، ولا يعزّيني عن مصابهم إلاّ علمي أنّهم غير شاعرين به. ومهما يكن في آبائهم وأمّهاتهم من الحبّ لهم فليسوا كأبناء الفقراء الذين يجدون في آبائهم رفقاء ومؤدّبين ومهذّبين ، وفي أمّهاتهم مربيات وحارسات

ومعلّمات فينالهم من والديهم ما يفوق كلّ غنى الأغنياء ، لعلمي بما في بيوت الفقراء الذين منهم ينبع عظماء الرجال وفُضلائهم. وإنّي أرى هَمَّ الناس مصروفاً إلى نزع الفقر من الدنيا وهذا خطأ فظيع لأنّ مَن يسعى في نزع الفقر كمن يسعى في نزع سبب الفضائل الذي رَقَّى نوع الإنسان والذي يمكن أن يزيده إرتقاءً».

وهذا يوافق **بوسَوَيْه الشهير**: «ليس لي غرام بالغنى ولكن لو كان عندي كفافي فقط لخسرت نصف مواهبي العقليّة».

قال **باكون**: «القصر الفخيم مظهر من مظاهر العزة والمجد اللهم إن كان ساكنه عزيزاً شريفاً».

قال **اللورد أفبري**: «ما بال الناس يفدون الثروة بالحياة فيسعون في سبيلها مضَحّين صحة أبدانهم وراحة فكرهم ، والقِسم الأكبر من وقتهم ، ومتى كان قنطار المال يساوي نقطة حياة. أما السعادة فلا تُباع ولا تُشترى ، وأهم موجودات الدنيا: هواءٌ نقيّ ، وماء صاف ، وطعامٌ صالحٌ ، وعافية جيّدة ، وضمير مرتاح. والمليونيّ ليس له أن يتمتّع بهذه البركات أكثر من العامل المسكين. وشرّ ما في الدنيا الألم والإضطراب والهمّ والخطيّة ، وهذه لا ينتفي وجودها بمجرّد وجود المال ،بل ربما كان المال مجلبة لها جميعاً».

وقال أيضاً: «فائدة المال الذاتيّة إنما هي كفؤنا مؤنة الإهتمام والعناء للحصول عليه ، ولكن إذا كانت النتيجة أننا كلما فزنا بشيء منه وزدنا إهتماماً واضطراباً فتباً لها من نتيجة ، والمال تجربة عظيمة يغرّ المرء ويزين له التمرّغ في أوحال الملاذ الباطلة». ويقول المثل الفرنسي: «مال قليل إهتمام قليل».

فهذه أقوال علماء وأغنياء يظهر منها شهادة العقل والإختبار أنّ السعادة لا يمكن أن تكون في المال.

يتبع في العدد القادم

مال، ثروة، ملكيّة mamonas MAMΩNAΣ

«لأنّ أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النّور في جيلهم» (لو١٦: ٨)

الكلمة اليونانيّة mamonas ترد في العهد الجديد إنها تنقل الحالة التأكيديّة mamona للآراميّة mamon . يربطها معظم الباحثين بالفعل aman،يؤمن بـ،يثق، كـ«ذلك يثق فيه شخص». رغم أنّها أيضاً يمكن أن تشير إلى ما هو موثوق به للبشر. في لو١٦: ١١ يوجد تلاعب واضح بالكلمات بهذا المعنى الجذري: «فإن لم تكونوا أُمناء[pistis ; pistos] في مال [mamonas] الظلم فمن يأتمنكم [pisteue] على الحقّ [alethinos - aletheia] الكلمات اليونانيّة الثلاث pistos و pisteue و alethinos جميعاً تبدو أنها تترجم كلمات من نفس الأصل الأرامي mn ، التي تُصاغ منها كلمة mamonas في الإنجليزيّة أي ثروة.

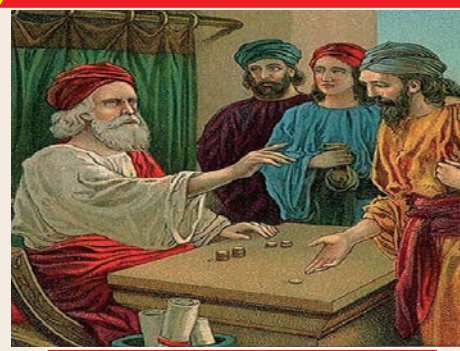

حكمة وكيل الظلم في إعادة ديون سيّده

ترد الكلمة الآراميّة في الكتابات الرابانيّة حيث تحمل معنى ربح أو مال ، أو بأكثر عامية ، ممتلكات شخص. قد تكون الكلمة في حدّ ذاتها حياديّة لكنها اكتسبت في سياقات سلبيّة دلالة على الممتلكات المكتسبة بطريقة غير أمينة ، كما في الرشوة.

ترد mamonas ٣ مرّات في أقوال أُلحقت بمثَل وكيل الظلم (لو١٦: ١-٨). في نهاية المثل مدح السيّد (أو ربما "الرب") الوكيل الظلم بسبب دهاءه «لأنّ أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النّور في جيلهم» (لو١٦: ٨). يُقال هذا المثل في خطاب موجّه لتلاميذ يسوع ، معلّماً إيّاهم الحكمة في التعامل مع ممتلكات هذا العالم. يجب عليهم أن يستخدموا ممتلكات هذا العالم بطريقة بارّة ونافعة للآخرين. لقد حقّق عمل وكيل الظلم في إعادة ديون مختلفة مدين بها لسيّده هدفاً مزدوجاً. فمن ناحية كان السيّد يولي إهتماماً بالغاً ، محظور في الشريعة الموسويّة ، والوكيل كان حقّاً يضع سيّده في صورة صحيحة من وجهة نظر الشريعة، ومن ناحية أخرى كان يفعل بنفسه معروفاً بتزلّف نفسه عند مديني سيّده.

بعد ذلك يضيف لو١٦: ٩ «وأنا أقول لكم: إصنعوا لكم أصدقاء بمال mamonas الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم [هم] في المظال الأبديّة». الوصيّة ليست أن يصادقوا الثروة بل أن يستخدموها لمنفعة الآخرين. في هذه الآية وبما تُشير [هم] إلى اللّه وملائكته. القصد هو أن الثروة في حدّ ذاتها لا تَبقى ، لكن يمكن إستخدامها في تحقيق شيئاً يَبقى. الثروة في ذاتها ماديّة ، لكن استخدامها لَهُ أبعاد شخصيّة.

لو١٦: ١١ تتغاير القيمة البسيطة نسبيّاً للأشياء الماديّة بالغنى الحقيقي الذي يوجد في صراحة أعلى وشخصية. لذا فإن وكالة الممتلكات الماديّة إمتحان تجريبي لوكالة أكبر (قارن مع مثل الأمناء (لو١٩: ١١-٢٧) والوزنات (مت٢٥: ١٤-٣٠).

لو١٦: ١٢ يشير إلى أنّ الثروة الدنيويّة ليست هي شيئاً يمتلكه الشخص فعلاً بل تنتمي ـ في الحقيقة ـ إلى شخص آخر. كان يجب على التلميذ أن يبرهن على أنّه أمين ووكيل حكيم ، على هذا قبل أن يوثق فيه في شيء أعظم. لكن لا يجب على الشخص أن يكون خادم المال، لأنّ المال (مشخّص في لو١٦: ١٣) يصبح حتماً سيّدنا إذا حاولنا أن نجعل أنفسنا سيّده باكتسابه كغاية في حدّ ذاته. إنّنا نُواجَه بالإختبار القاسي. إمّا أن نخدم اللّه أو نخدم المال، فلا يمكننا أن نخدم الأثنين.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٧)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

أ- يشوع وامتلاك كنعان

يشوع وعبور الأردن:

وقت أن خلف يشوع موسى كان الشعب يعسكر في شرق الأردن وقد استولى على الهضبة الشرقيّة وكانت كنعان مقابله في الغرب. ولم تكن المهمّة التي أضطلع بها يشوع سهلة: إذ عليه أن يواجه شعوباً لها دراية بالحرب ومدناً محصّنة ، لذلك كان وعد اللّه له أن يتشدّد ويتشجّع ، وقد أثبت يشوع فيما سَبَق أنّه قائد حربي ممتاز وجدير أن يخلف موسى (خر١٧:٨) ويتبوأ قيادة الشعب (تث٣٤:٩)، وإنّ اللّه الذي وهبَ موسى لعمل الخلاص أعطى يشوع قائداً للغزو.

وتبدأ خطّة غزو كنعان بعبور الأردن مقابل أريحا وتبعد نحو ٨كم من نقطة مصبّ النهر في البحر الميّت (وهو المكان التقليدي لعمّاد المسيح وقريبٌ من جبل التجربة)، وبعد أن أقام الشعب في سهول موآب وقد أحكموا قبضتهم على معظم أرض عمون وجلعاد واستعدّوا لغزو الأرض وكانت نقطة البدء هي عبور الأردن وكان وقت الربيع والنهر فائضاً بسبب ذوبان الثلوج المنحدرة من جبال لبنان (يش٣:١٥) أي شهر أبريل في موسم الحصاد وبذلك كانت مهمّةالعبور شاقّة وخاصّة أن الذين يعبرون النهر يقرب عددهم من المليونين كما كان العبور لابدّ أن يتمّ في يوم واحد، وما أن تقدّس الشعب ومسّت بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت عهد الرب حافّة النهر حتى انشقّت المياه وسار بنو إسرائيل فوق قاع النهر الجّاف ، وأقيم أثَران لتخليد الحادثة أحدهما في قاع النهر ، والثاني في الجلجال المكان الذي نصبوا فيه خيامهم بعد العبور وهنا يتلألأ الإيمان.

كانت الجلجال (تل المغجر) في غرب الأردن هي المعسكر الأساسي ، وقد جعلها يشوع القاعدة لمد سلطانه ومكان العودة بعد كلّ غزوة ، لذلك تميّزت بحوادث هامة فيها مارسوا شريعة الختان التي أُهملت في فترة الإرتحال ، وأُزيل عار عدم إيمانهم ، وعيّدوا لأوّل مرّة عيد الفصح في ميعاده كما عيّدوا ليلة خروجهم من مصرَ وهي المرّة الثالثة التي يُمارَس فيها الفصح (خر١٢ ، عد٩:٥ ، يش٥:١٠). وهنا إنقطع المنّ (خر١٦:١٣) وعَيَّدَ الجيل الجديد وأكل غلّة الأرض ، إنّها أوّل مرّة يأكلون فيها من ثمار أرض الموعد.

غزو كنعان:

وضَعَ يشوع إستراتيجيّة الهجوم في ثلاث غزوات هي:

أولاً: الحملة في وسط كنعان وفيها غزو أريحا وعاي (يش٦:٨).

ثانياً: الحملة في الجنوب وفيها الحرب ضد الملوك الخمس وبعض الإنتصارات (يش ٩:١٠).

ثالثاً: الحملة في الشمال وكانت أكثرهم شراسة (يش ١١) .

وكانت الخطّة العامة في أساسها تعتمد على سيطرة يشوع أولاً على وسط كنعان حيث يسيطر على التلال والمرتفعات فيصبح مركزه القتالي أقوى ، وبإنتصارات حملة الوسط يفصل بين مدن ومدن الجنوب ليمنع أي إتحاد ضدّه ، وعندما يمتلك وسط كنعان يمكن غزو مدن الجنوب والذي كان ضعيفاً وبذلك تتهيّأ له الظروف الحسنة فيتقدّم نحو الشمال بكل قوّته بعد أن أَمَّنَ جيشه من جميع الجهات.

أولاً- الحملة في وسط كنعان (يش٦-٨)

غزو أريحا:

كانت أريحا تسمّى مدينة النخل (قض٣:١٣) وتقع غرب نهر الأردن وسط سهل متّسع رَطب في إخدود وادي الأردن وتنخفض بمقدار ٨٤٠ قدَماً (٢٥٢ متراً) عن سطح البحر ، وخمسة أميال (٨كم) من نهر الأردن ، وكانت أريحا تقف مواجهته فهي مدخل كنعان ، لذلك أرسل جاسوسين (يش٢) وكانت مهمتهما الخطرة ، التعرّف على التلال التي وراءها، فأريحا هي نقطة البدء ومن المحتّم الإستيلاء عليها أولاً للسيطرة على موارد المياه قبل كشف الطُرق المؤدية للمرتفعات الوسطى ، وما أن نجح الجاسوسان بتعاون راحاب التي آمنت (يع٢:٢٥) معهما ، وقدّما تقريريهما عن أريحا بدأ الهجوم وسقطت الأسوار حسب وعد اللّه بعد أن أتمَّ الشعب الدوران حول المدينة وهتفوا بالأبواق كما أمرهم الربّ (عب١١: ٣١)، وقد أمرهم اللّه أن يحرموا كل ما في المدينة لكي لا يختلط الزرع المقدّس لذلك الشعب الذي قدّسه اللّه في البريّة مع نجاسة الوثنيين ، وعليهم أن يستبقوا الذهب والفضّة والمعادن فتدخل في خزانة الربّ هي قدسٌ للرب. وسقطت جميع الأسوار المحيطة بأريحا فيما عدا السور الذي كان مُقاماً عليه بيت راحاب ومكافأة لها أنها نُجّت مع أهل بيتها.

يتبع

بمناسبة بدء السنة الجديدة

مسالك التوبة الخمس للقديس يوحنا الذهبي الفم

هل تريد أن أُعدِّد لك مسالك التوبة؟ إنها كثيرة ومنوَّعة، و تقود كلّها إلى الجنَّة.

١) المسار الأول يبدأ بإدانة خطاياك الخاصَّة: «كنْ البادئ بالإقرار بخطاياك وسوف تُبرَّر منها.» من أجل هذا السبب كتب النبيّ: «أنا قلت، سوف أعرض خطاياي أمام الرب، وأنت غفرت شرور قلبي» لذلك عليك، أنت أيضًا، أن تدين خطاياك، هذا سيكون كافيًا أمام الله حتى يغفر لك، لأن الإنسان الذي يدين خطاياه الخاصة سيكون أبطأ بالعودة إلى الخطأ ثانية. حثْ ضميرك على اتهام نفسك داخل منـزلك، حتى لا يتهمك أمام عرشِ دينونة الربّ.

٢) هذا إذاً مسار جيِّد للتوبة. ومسار آخر، لا يقلّ قيمة عن الأول، وهو تناسي الأذى الذي يلحقه بنا أعداؤنا، من أجل أن نسود على غضبنا ونغفر لأترابنا (العبيد) خطاياهم التي اقترفوها بحقِّنا. هكذا سوف ينفتح أمامك مسار جديد للتغلُّب على الخطيئة: «فإنه إن غفرتم للناس زلاَّتهم يغفر لكم أيضًا أبوكم السماوي.»

٣) هل تريد أن تتعلّم مساراً ثالثًا؟ إنها الصلاة الحارَّة والمتيقِّظة والنابعة من القلب.

٤) أما إذا أردت أن تسمع عن مسار رابع، أنصحك بالصدقة التي تفيض قوتها وتطال بعيدًا.

٥) بالإضافة إلى ذلك، إذا عاش الإنسان حياة بسيطة ومتواضعة وحفظ المسارات التي سردتها عليك، سوف تُنـزع عنه خطيئته. برهانًا على ذلك العشَّار الذي لم يكن لديه أية أعمال حسنة ليخبر عنها، ولكن تواضعه الصادق أراحه من حمل خطاياه الثقيل. وهكذا أكون قد أرشدتك على خمس مسالك إلى التوبة: إدانة خطاياك، ومغفرة ذنوب قريبك، والصلاة، والصدقة، والتواضع. لا تكنْ عديم الحركة وخاملاً، بل سرْ كل يوم في هذه المسالك. إنها سهلة ولا يمكنك التحجُّج بعدم قدرتك على تحقيقها. لأنك، حتى ولو كنت تعيش في عوز كبير، يمكنك دائمًا وضع غضبك جانبًا، وأن تتضع، وأن تتحلى بالمثابرة، وأن تدين خطاياك. فقرك لا يقدِّم إليك عذرًا للتملُّص من ذلك. فالفقر ليس عائقًا أمام تحقيق وصايا الربّ ويمكنك أن تتصدَّق إلى الفقراء وأن تُحسن إليهم دائمًا. لقد برهنت الأرملة على هذا بعد أن وضعت فلسيها في الصندوق (مرقس١٢:٤٢).الآن وقد تعلَّمنا كيف نشفي جراحنا، دعنا نستعمل هذه الأدوية. حتى إذا تعافينا وأصبحنا بصحة أصيلة، يمكننا أن نقترب من المائدة المقدَّسة بثقة ونلتقي بعظمة المسيح، ملك المجد، ونحصل على البركات الأبديَّة من خلال النعمة والرحمة ومحبَّة يسوع المسيح ربِّنا ومخلِّصنا.+ بشفاعات رئيس كهنتك يوحنا، أيها المسيح إلهنا، ارحمنا وخلصنا. آمين